التوحيد

مجلة إسلامية . ثقافية . شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
السنة الثالثة والثلاثون . العدد الرابع . ربيع الآخر ١٤٢٥هـ . الثمن ١٥٠ قرشا

تعريف الأنام بمقاصد الإسلام

العجز عن الوفاء باليمين

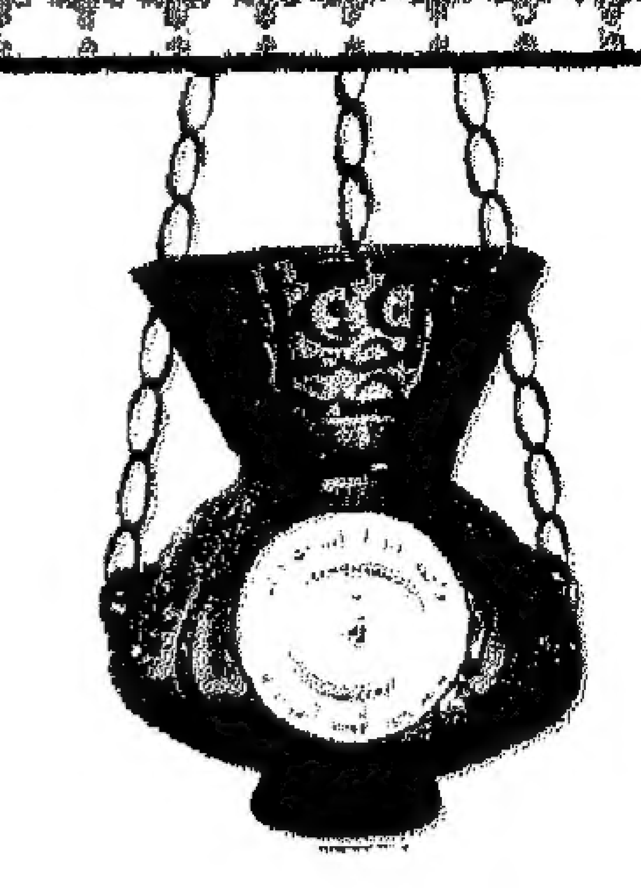
يا أُمَّتِي: بالله فاعتصمي





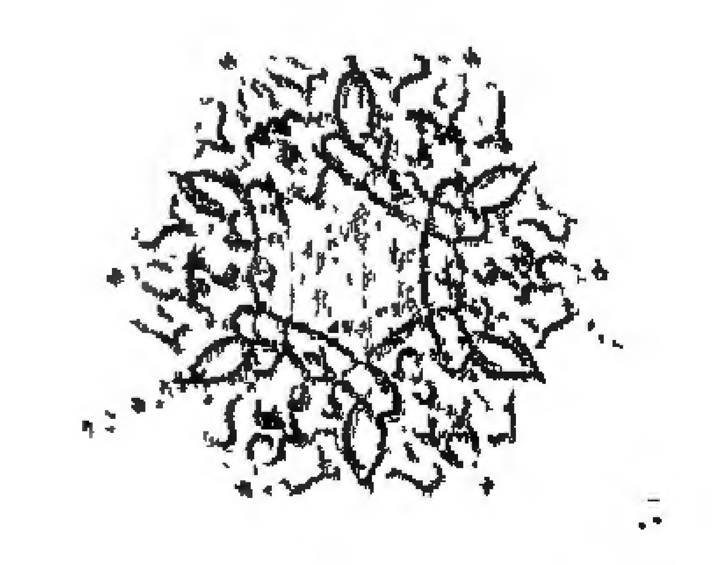


رئيس مجلس الإدارة د. جمال المراكبي





إسلامية- ثقافية- شهرية



السلام عليكم

نصر الله آت لا محالة

مما ينبغي أن يدركه المسلمون عند مواجهة الفتن أن تسلط الأعداء على الأمة إنما يجري بمقتضى سنن الله في خلقه. ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر:٤٣].

وهتافات كثيرة تنبعث من هنا وهناك، تنبعث من قلوب متغيظة، وحناجر متحرقة، تبحث عن مُخلِّص تتصور له سمات وملامح تطلبها فيه، وإن هذه السمات وتلك الملامح لن تكون صناعتها وصياغتها وصبغتها إلا من داخل الإسلام.

فهل يعود المسلمون اليوم إلى دينهم عودًا حقيقيًا يدركون به هذه الغاية المحمودة والأمنية المنشودة التي سطرتها آيات القرآن الكريم، وأوضحتها سنة رسولنا العظيم ﷺ؟!

قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١].

وقال ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها؛ وإن ملك أمتي سيبلغ ما زُوي لي منها».

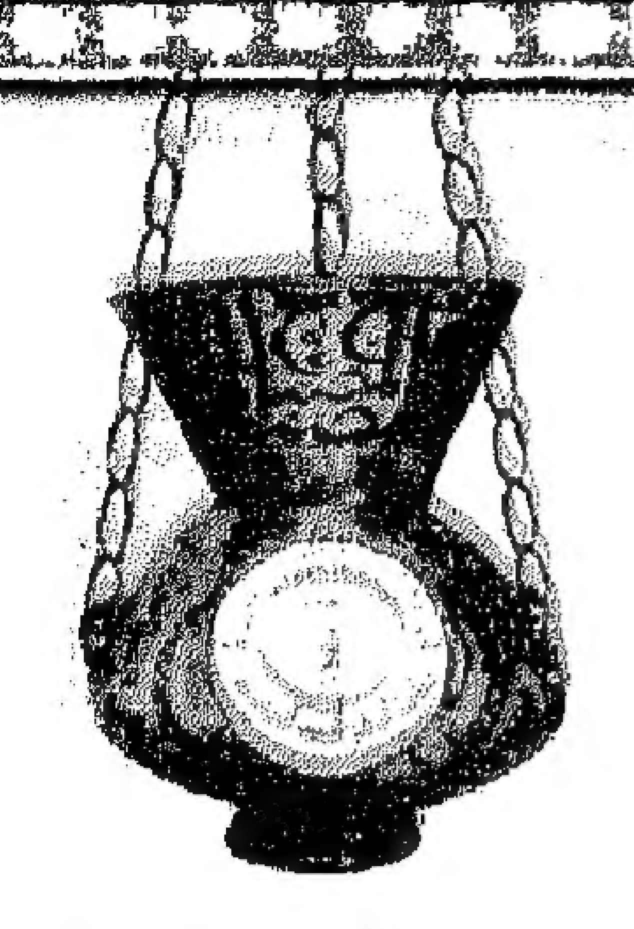
أيها المسلمون: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص:٨٨]

رئيس التحرير

البريد الإلكتروني
المجلة Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات Ashterakat@hotmail.com
موقع المجلة على الإنترنت www.altawhed.com
موقع المركز العام www.ELsonna.com

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

رئيس التحرير **جمال سعد حاتم** مدير التحرير الفني **حسين عطا القراط**



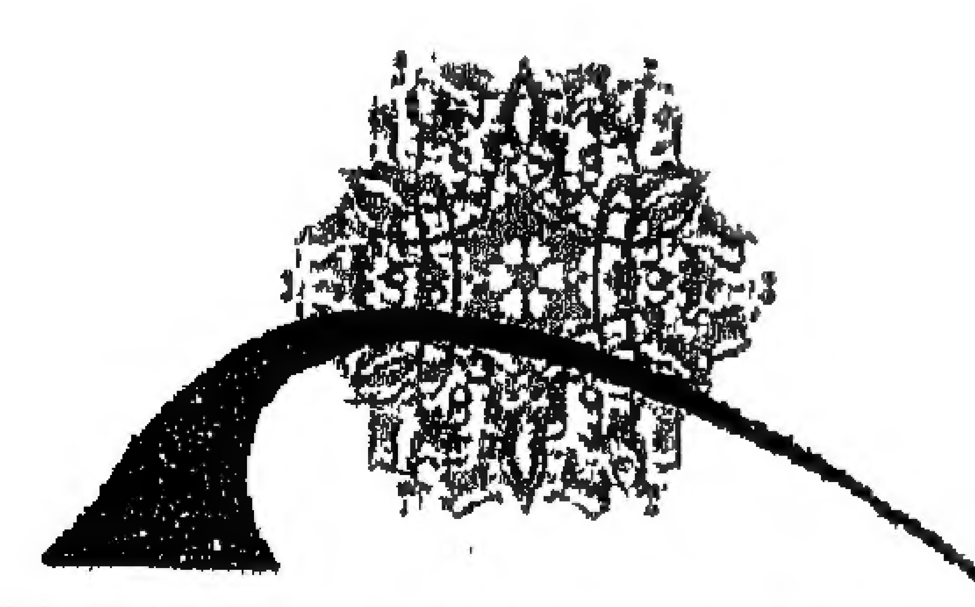
صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو.

الاشتراك السنوي:

١- في الداخل ٢٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد ـ على مكتب بريد عابدين).
٢ ـ في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أوما يعادلها. ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي ـ فرع القاهرة ـ باسم مجلة التوحيد ـ انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).



التوزيع الداخلي
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

في هذا العدد

المركز العام: القاهرة ـ ٨ شارع قوله ـ عابدين
هاتف: ٣٩١٥٤٥٦ ـ ٣٩١٥٥٧٦

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

الاعتصام بالله هو اللجوء إليه والاحتماء به والامتناع به والتوكل عليه، وهو سبيل المؤمنين ومنهاج حياتهم، وثمرة الاعتصام بالله أن يدافع الله عن عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج]، وأن ينصرهم على عدوهم: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، وقد أمر الله عباده المؤمنين بالاعتصام به سبحانه في مواضع عديدة من كتابه الكريم، فقال سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج].

فأمر الله سبحانه عباده المؤمنين بعبادته وحده لا شريك له وبالجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وألسنتهم، والاعتصام به سبحانه فهو ناصرهم والمدافع عنهم.

فيا خير أمة أخرجت للناس اعبدوا الله ما لكم من إله غيره واركعوا واسجدوا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وافعلوا الخير الذي يأمركم به سبحانه لتكونوا من المفلحين الفائزين وجاهدوا في الله حق جهاده بالقيام التام بأمر الله سبحانه، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل وسيلة من دعوة ونصح وتعليم ووعظ وزجر وقتال للمعاندين الذين يصدون عن سبيل الله، واعلموا أنكم خير أمة أخرجت للناس بتفضيل الله إياكم، فهو سبحانه اجتباكم واختاركم من بين العالمين وخصكم بخير كتاب أنزل وبخير رسول أرسل، وما جعل عليكم في الدين من حرج، ولكن بعث محمدًا خاتم النبيين بالحنيفية السمحة، ورفع عنكم الآصار والأغلال التي كانت على الأمم قبلكم، وجعلكم شهداء على الأمم وعلى جميع الناس: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ

بالله فاعتصمي

بقلم

الرئيس العام

الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة].

فقوموا بواجبكم في عبادة الله عز وجل والدعوة إلى سبيله وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم واعتصموا بالله واستعينوا به وتأيدوا به هو مولاكم وحافظكم وناصركم وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤- ١٧٥].

فبالإيمان بالله والاعتصام به يدخل المؤمنون في رحمة الله تعالى وفضله وهدايته إلى صراط الله المستقيم الموصل إلى جنات النعيم.

والمنافقون أبعد الناس عن منهج الإيمان وإن زعموا أنهم من المؤمنين، يخادعون الله والذين آمنوا، وما يخدعون إلا أنفسهم، فهم في الدرك الأسفل من النار، إلا إذا تابوا من النفاق، واخلصوا دينهم لله، واعتصموا بالله، فإنهم يكونون مع المؤمنين في الدنيا والآخرة بإيمانهم وإخلاصهم واعتصامهم بالله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦].

ولقد نعى الله سبحانه على المؤمنين المفرطين المتبعين سنن أهل الكتاب والسائرين على طريقتهم، وحذر أمة الإيمان من سلوك هذا السبيل، فكيف تكون طاعتهم للمخالفين من أهل الكتاب، وقد كفاهم الله بكتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ وفيها الهداية لمن اعتصم بها، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

كيف نحقق الاعتصام بالله؟

ينبغي أن نسأل أنفسنا هذا السؤال: إذا كان الاعتصام بالله هو سبيل الهداية والنجاة في الدنيا والآخرة، فكيف نحقق هذا الاعتصام؟

نقول: الاعتصام بالله يكون بالترقي عن شهود غير الله في نفعه وخيره، وتأثيره وعطائه ومنعه، فالملك كله لله، هو مالك الملك، مدبر الأمر، وما يفعله العباد إنما هو بتقدير الله عز وجل ليبلو ويختبر، فيضل من يشاء ويهدي من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع فضله عمن يشاء، وهذا يكون بمعرفة الله عز وجل بربوبيته وألوهيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ولا يحقق العبد هذا إلا إذا اعتصم بخبر الله عز وجل- أي بالوحي- قرآنًا وسنة استسلامًا، بتعظيم الأمر والنهي وأحكام الشرع لأن ذلك من تعظيم الآمر الناهي سبحانه وتعالى، وبالتصديق بالوعد والوعيد بالرغبة والرهبة والرجاء والخوف، بالطمع في الجنة والخوف من النار، وتحقيق الخشية من الله التي هي من سيما العلماء العاملين: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وبتأسيس المعاملة مع الله عز وجل على اليقين والإنصاف.

تأسيس المعاملة مع الله عز وجل على اليقين الذي لا شك معه ولا تردد ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:٥١] وقال النبي ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيهما إلا دخل الجنة» مسلم.

وقال ﷺ لأبي هريرة: «من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة» رواه مسلم.

وقال ابن مسعود: في اليقين الإيمان كله. علقه البخاري ووصله الطبراني بسند صحيح وأخرج أحمد عن ابن مسعود «اللهم زدنا إيمانا ويقينًا وفقها».

فإذا أيقن القلب انبعثت الجوارح بطاعة الله عز وجل بالأعمال الصالحة قال سفيان الثوري: لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي، لطار اشتياقًا إلى الجنة وهربًا من النار.

أما الإنصاف في العلاقة مع الله عز وجل فيكون بأن تعطي العبودية حقها وأن لا تنازع ربك في صفات إلهيته من العظمة والكبرياء والجبروت بل تعلم أنك عبد فتذل لربك وخالقك ومولاك، وأن تعرف نعم الله عليك فتشكره، ولا تشكر سواه على نعمه وتنساه، كحال الذين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، وأن لا تحمد على رزقه غيره، وأن لا تستعين بنعمه على معاصيه.

وأما الإنصاف مع عباد الله فأن تعاملهم بمثل ما تحب أن يعاملوك به وأن تنصفهم من نفسك بسلوك مسلك العدل فيهم، فيسلم المسلمون من لسانك ويدك، ويأمنوك على أموالهم وأنفسهم والمعصوم من عصمه الله تعالى.

الاعتصام بحبل الله

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٣-١٠٥].

والاعتصام بحبل الله أي بدينه وكتابه وهدي نبيه ﷺ وهدي الخلفاء الراشدين من بعده، والاعتصام بالجماعة ونبذ الفرقة، وكما يقول العلماء أن تحافظ على طاعة الله عز وجل مراقبًا لأمره فتقوم بالطاعة لأجل أن الله يأمر بها ويحبها لا لمجرد التقليد أو الاعتياد، فتعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وتترك معصيته على نور من الله تخاف عقاب الله.

فما أحوج الأمة في زمن الغثاء أن تراجع دينها وأن تعتصم بربها وبدين ربها، وأن تنبذ - تترك - أسباب الفرقة والضلال.

«اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر» مسلم.

فاللهم يا أملي في كل نائبةٍ
ومن عليه لكشف الضر أعتمدُ

أشكو إليك أمورًا أنت تعلمها
مالي إلى حملها صبر ولا جَلَدُ

أشكو إليك هوانًا عمَّ أمتنا
وعسكرُ الكفر من أرجائها احتشدوا

يبغون قلع جذور الدين من غدنا
والمسلمون بقاع الأرض قد رقدوا

قد ضيعوا الدين الذي به عزوا
قد فرطوا في قول الله «واعدوا»

والله من وراء القصد.

كلمة التحرير

رعاة البقر وعودة التتر

بقلم رئيس التحرير

نحمد الله رب العالمين حمد عباده الشاكرين الذاكرين ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين أما بعد..

فالعداء للإسلام أصبح هو السمة الأساسية للحرب الأمريكية المزعومة ضد الإرهاب في العالم بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وبرغم أن رعاة البقر قد نقلوا ميدان المعركة إلى قلب العالم الإسلامي زاعمين أنهم جاءوا لتحرير الشعوب، وفرض الديمقراطية المزعومة، والإصلاح الذي هم في أشد الحاجة إليه بعد أن ثبت زيف دعاويهم، ويومًا بعد يوم تنكشف الممارسات الأمريكية البريطانية القذرة مع أبناء الشعب العراقي ونسائه، ويظهر المزيد من الصور التي تجاوز عددها الآلاف والتي يظهر فيها شواذ أمريكا وعاهراتها، وهم يتلذذون بتعذيب المعتقلين والمعتقلات العراقيين واغتصابهم وإهدار آدميتهم وكرامتهم، ووصل الأمر إلى القتل والتمثيل بالجثث.. يتم كل ذلك بشكل بعيد تمامًا عن الإنسانية التي يدعون أنهم يبحثون عن حقوقها ويزعمون أنهم ينتمون إليها.. وهم أبعد ما يكون عن ذلك، والممارسات القذرة لرعاة البقر وهؤلاء التتر يُرى فيها سلوك مَنْ لا يرقبون في المسلمين إلا ولا ذمة، وبينما العالم الصامت يتابع صورا وحشية للتتر الذين عادوا مرة أخرى ليذيقوا المسلمين آثار حقدهم الدفين على الإسلام والمسلمين.. ووسط ذلك كله نشاهد بجاحة من لا يستحيون ولا يتورعون في اتهام السودان بالاعتداء على حقوق الإنسان في «دارفور» وتهديد سوريا لأنها لم تشاركهم في حروبهم القذرة ضد ما يزعمون أنه الإرهاب!! ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً ﴾ [التوبة:٨].

جرائمهم في بلاد المسلمين

وإذا كان المقام لا يتسع لسرد جرائم التتر ووحشيتهم حيث تجردوا من إنسانيتهم المزعومة ولبسوا رداءهم الملطخ بالوحشية والدماء.. وقد جاءوا في ثوب المنقذين للشعوب من ظلم قادتهم واستبدادهم، وبالأمس القريب كشفت التقارير العسكرية عن عمليات تعذيب أكثر بشاعة ارتكبتها القوات الأمريكية ضد الأسرى العراقيين في سجن «أبو غريب» حيث أكدت التقارير أن شرائط الفيديو التي لم يتم الكشف عنها لوسائل الإعلام تشمل أبشع أنواع التعذيب، وأوضح التقرير أن عمليات التعذيب البشعة شملت تمزيق جلود الأسرى العراقيين بالأسلحة على غرار إجراء العمليات الجراحية، وإطفاء السجائر في أجسادهم، وإشعال النيران في رءوس الأسرى، وسلخ أجزاء من فروة رؤوسهم وتقليم الأظافر ببترها، وإجراء عمليات ختان إضافية للرجال، وأكد التقرير أن العديد من السجناء العراقيين لقوا مصرعهم، وتم إلقاؤهم في مناطق الاشتباكات لإخفاء الجريمة.

كلمة التحرير

العداء للإسلام أصبح هو السمة الرئيسية للحرب الأمريكية المزعومة ضد الإرهاب

وكشف أحد المعتقلين المفرج عنهم أن الجنود الأمريكان قد علقوه من يديه لعدة ساعات لإجباره على الإدلاء باعترافات كاذبة. وكشف أن جنود الاحتلال ربطوا أسلاكا كهربائية بلسان أسير وأعضائه التناسلية خلال عمليات التعذيب!! كذلك إطلاق الكلاب المسعورة على الأسرى وهم مقيدون تنهش أجسادهم. كل ذلك يقع تحت مظلة البحث عن حقوق الإنسان، ولكن على الطريقة الأمريكية!!

أمريكا تبحث عن الحلم الصهيوني في العراق

ومع حالة الذهول والصمت المميت على ما يحدث وما تتناقله الأنباء يُلَمِّح الكاتب البريطاني «روبرت فيسك» لصحيفة الإندبندنت البريطانية إلى تورط الإسرائيليين في عمليات تعذيب السجناء العراقيين في سجن «أبو غريب»... وتكشف المصادر عن وجود إسرائيليين في العراق منذ أكثر من عام، ومع الساعات الأولى لدخول قوات الغزو، وطبقًا لما ذكرته هيئة الإذاعة البريطانية فإن إسرائيل قد قدَّمت سرًا مساعدات للولايات المتحدة في غزوها للعراق. كما أن الكاتب البريطاني «روبرت فيسك» قد اعترف في تصريحه بأن أمريكا قد استأجرت إسرائيليين لتعذيب العراقيين في سجن «أبو غريب» ولإعطاء دروس في فنون الإذلال والدعارة للجنود الأمريكيين لكي يمارسوها ضد المسجونين في العراق، وهو ما تفعله قوات الصهاينة مع الفلسطينيين في ظل صمت العالم المفجع، وبينما مئات الآلاف من الفلسطينيين يعيشون الهوان والذل في الأراضي المحتلة تجد نفس الصورة في أرض العراق وفي أفغانستان في محاولة لإذلال العرب والمسلمين، وإضعاف نفوسهم وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين

إن ما يحدث ضد الإسلام والمسلمين في كل مكان من بقاع الدنيا يظهر بوضوح الحقد الدفين الذي يكنه الأمريكان بصفة عامة وبوش الإبن والأب والجد بصفة خاصة، فهذا بوش الابن الذي بدأ حربًا صليبية ضد الإسلام والمسلمين وما قاله من أن الحرب الصليبية قد بدأت لم يكن قوله ذلك زلة لسان، فتاريخ تلك العائلة ممتد وضارب في الإجرام، فبعد أول ترجمة عربية لبروتوكولات قديمة لحكماء عائلة بوش، نجد الوثيقة هذه المرة من جورج بوش الجد والذي عاش في الفترة من ١٧٩٦م إلى ١٨٥٩ وقدم في عام ١٨٣٠ كتابه «الوثيقة» الذي كان بعنوان «محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس امبراطورية المسلمين». وتناول فيه أمة العرب والمسلمين ونبيهم بما يوصف بأنه أشنع ما كتب عنهم في الغرب باعتبار أنهم أعراق منحطة، وحشرات وجرذان تستحق القتل وأفاعي، وأن محمدًا ﷺ «مُدَّع»، كما وصف الإسلام بأنه هرطقة وضلال «امتحن الله به المسيحيين ليعيدهم إلى

الهداية».

والكتاب يمثل حقد العائلة القديم على ونبي الله محمد ﷺ والعرب والمسلمين، ويشكل مرجعية لما يجرى في العراق وأفغانستان وفلسطين.

إن الأفعال الدنيئة واللاإنسانية التي لا تمت بأي حال من الأحوال لحضارة دولة تدعي حماية حقوق الإنسان وأصدعت رءوس الناس بذلك الشعار الكاذب والذي أصبح مدعاة للسخرية والهزل، فأمريكا بوش تشن الحروب وتقطع آلاف الأميال وتزحف بجيوشها من وراء المحيطات لتغزو دولة ذات سيادة وتحطم تلك الدولة وتهدم سيادتها وتقتل شعبها وتغتال حضارتها ثم تدعي بعد ذلك أنها جاءت لتحررها وترسخ بها مبادئ الديمقراطية، وحقوق الإنسان. أي مهزلة هذه التي تحدث على مرأى ومسمع من العالم كله؟!

إن هذه السياسة الغوغائية هي التي أفرزت هؤلاء المرتزقة من الجنود الامريكان، إنها نتاج حضارة زائفة، حضارة رعاة البقر الذين نشأوا في الغابات وتسممت أفكارهم بقانون الغاب!! والمولى سبحانه في سورة الحجرات يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

سماحة الإسلام وديمقراطية أمريكا الزائفة

منذ أربعة عشر قرنًا مضت قدم الإسلام للبشرية منهجًا حضاريًا كاملا في جميع مجالاتها ونُظُمِها، من ذلك تلك القيمة الحضارية التي أسسها الإسلام في معاملة أسرى الحروب. والنماذج في هذا المجال لا حصر لها على مدار التاريخ توضح سماحة الإسلام في معاملة الأسرى، وكيف أن النبي ﷺ يوصي أصحابه بالإحسان في معاملتهم وعدم التمثيل بجثثهم، واليوم بعد أن علا صوت الباطل نجد الغرب يضع الحضارة الإسلامية في خندق الإتهام بالإرهاب تارة، وبالتعصب تارة أخرى، وفي نفس الوقت يقدم حضارته على أنها النموذج الأمثل للإنسانية، ولكن الممارسات العملية لتلك الحضارة تفضح نفسها!!

وشريعة الإسلام أظهرت للإنسانية صورًا راقية في مجالي الحرب والسلم، فالله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ ينهيان عن إيذاء الإنسان أو تعذيبه بأية صورة كانت، بل راعى الإسلام أحاسيس الحيوان الأعجم، وأشار النبي ﷺ إلى أن هذا الحيوان يحس ويتألم ولذا ينبغي الإحسان إليه، وقد مر رسول الله ﷺ ذات يوم على رجل وقد أضجع شاته ليذبحها، ووضع قدمه على رقبتها استعدادًا لذبحها، وأخذ يحد شفرته أمامها، وإذا برسول الرحمة ﷺ يقول له: «اتق الله أتريد أن تميتها موتتين؟ إذا ذبح أحدكم فليرح ذبيحته وليحد شفرته

شريعة الإسلام أظهرت للإنسانية صورًا راقية في مجالي الحرب والسلم وكيفية معاملة الأسرى

كلمة التحرير

لقد تجرد الأمريكان من كل معاني الإنسانية ولبسوا رداءهم الملطخ بالدماء وصنعوا بالمعتقلين العراقيين ما يندى له جبين البشرية

بعيدًا عنها..» فإذا كانت هذه نظرة الإسلام إلى الحيوان، فكيف تكون نظرته للإنسان؟ إنه نهى عن التعذيب حتى في مجال الحرب.

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرًا.

ومن الوصايا المشهورة أنه كان ﷺ يقول للجند: «لا تقتلوا وليدًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة ولا راهبًا، ولا تقطعوا شجرًا ولا تمثلوا...».

وعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمَّرة معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة، فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟! ردوا ولدها إليها» والسياق لأبي داود وزاد: ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: «من حرق هذه؟» قلنا: نحن، قال: «إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار».

وعن عمران بن حصين قال: كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلا من بني عقيل وأصابوا معه العضباء فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق، قال: يا محمد؛ فأتاه فقال: «ما شأنك؟» فقال: بم أخذتني وبم أخذت سابقة الحاج؟ فقال إعظاما لذلك: «أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف» ثم انصرف عنه فناداه فقال: يا محمد يا محمد؛ وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رقيقًا فرجع إليه فقال: «ما شأنك؟» قال: إني مسلم. قال: «لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح» ثم انصرف فناداه فقال: يا محمد يا محمد؛ فأتاه فقال: «ما شأنك؟» قال: إني جائع فأطعمني وظمآن فأسقني. قال: «هذه حاجتك» ففدي بالرجلين ... [مسلم ٤٩١٥].

وعد صادق

إن النصر قادم بإذن الله لأمة الإسلام وإن تأخر مجيئه لحكمة يريدها الباري جل شأنه، لأن وعد الله واقعٌ لا محالة وكلمته قائمة: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣].

وما علينا نحن معاشر المسلمين إلا أن نستكمل الأسباب الجالبة لتحقيق وعد الله لأن شعوبًا لا تعرف إلا الله لن يغلبها من لا يعرف الله، وإن شعوبًا لا تعرف إلا الحق لن يغلبها من لا يعرف إلا الباطل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة:٢٠-٢١] وإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سورة الملك

الحلقة الثانية

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ٥- ١٥].

بقلم
د. عبد العظيم بدوي

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ وهي الكواكب والنجوم، جعلها الله زينة للسماء الدنيا القريبة منا والتي نراها، فهي كالعُقد في رقبة المرأة، يزيدُها حسنًا وبهاءً وجمالاً.

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ هذه وظيفة ثانية للنجوم، فهي زينة للسماء، ورجوم للشياطين، وثمت وظيفة ثالثة وهي الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر، كما قال تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، والوظيفتان الأولى والثالثة واضحتان، وأما الثانية وهي كونها رجومًا للشياطين فقد فسرتها آيات الصافات، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾، كانت الشياطين يسترقون السمع قبل أن يبعث النبي ﷺ، يركب بعضهم بعضا إلى عنان السماء، فيسمع أعلاهم الكلمة يتكلم بها الملائكة فيما بينهم مما أخبرهم الله أنه سيكون في الأرض، فيلقيها إلى الذي يليه، وهكذا حتى تصل أدناهم، فيقرها في أذن وليه من الكهنة والعرافين، فيخبر الناس بها، فيترقبها الناس، فتكون كما أخبر، فتكون فتنة للظالمين، ويأخذها ذلك الدجال ذريعة فيكذب معها مائة كذبة، فلما بعث النبي ﷺ حرست السماء، وحيل بينهم وبين ما يشتهون، فكانوا إذا استرق أحدهم السمع قذف بشهاب ثاقب، ولذا قال الله تعالى حكاية عنهم في السورة التي سماها

سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ [الجن: ٨، ٩]، فعلى المسلمين أن يحذروا الكهنة والعرافين، وأن يعلموا أنهم ليسوا بشيء، كما قال ﷺ. ولقد بالغ ﷺ في التحذير من إتيانهم، فقال: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة». رواه مسلم. وقال ﷺ: «من أتى حائضًا، أو امرأةً في دبرها، أو كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد». أبو داود (٣٩٠٤)، وصححه الألباني.

وقد يقول قائل: فما تقول في الكاهن الذي يبادر الداخل عليه بذكر اسمه واسم أبيه وأمه، ويقصّ عليه ما كان من أمره قبل أن يأتيه، علمًا بأن هذا الكاهن لا يعرفُ هذا الإنسان ولم يجتمع به قبل هذه المرة؟ والجواب: أن مما أخبر به النبي ﷺ أن كلا منا معه قرين من الملائكة وقرين من الجن، فإذا تحرك أحد الناس إلى هذا الكاهن سبقه قرينه من الجن فأخبر قرين هذا الكاهن بقصته، فإذا أتاه هذا الرجل بادره بسرد قصته عليه، فيقف المسكين حيران، لا يسعه إلا التصديق بكرامات هذا الولي (الكاهن)، وما هي إلا خدمة قدمها الجني لوليه هذا من الإنس، مقابل خدمات قدمها له هذا الإنسي، معاصي كانت أو كفرًا، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ أي في الآخرة، فكان الرجم خزيًا لهم في الدنيا، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾.

ولما كان كُفر مَن كفر من الإنس استجابة لدعوة أوليائهم من الجن، جمع بينهم في العذاب المهين، فقال عن شياطين الجن: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾، ثم قال عن أوليائهم من الإنس: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ أي: وأعتدنا للذين كفروا بربهم عذاب جهنم، وبئس المصير، أي بئس المآل والمنقلب، ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

ثم يرسم مشهد جهنم هذه وهي تستقبل الذين كفروا في غيظ وحنق شديد فيقول سبحانه: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾ هكذا يُلقون، كما يلقى الشيء الحقير الذي قد استُغني عنه، ويُطرحُ فلا يُهتم به بعد ذلك لهوانه على نفس من ألقاه، وهكذا يُلقى أهل النار لهوانهم على الله، فإذا ألقوا فيها ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ أي تغلي بهم كما يغلي الحَبّ القليل في الماء الكثير، ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي تكاد تتقطع من حنقها بهم وغيظها عليهم، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي جماعة ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ والمراد زبانية جهنم، سألوهم سؤال توبيخ وتقريع وتأنيب: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ لأن الله لا يعذب أحدًا من خلقه إلا بعد قيام الحجة عليه، وإرسال الرسول إليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، فما بالكم؟ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾؟ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، فأجابوا بذلة وانكسار، واعتراف بالحق والغفلة بعد التبجح والإنكار، واتهام الرسل بالضلال: ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾، فلم يكفهم- لعنهم الله- أنهم كذبوا الرسل حتى اتهموهم بالضلال الكبير، وهكذا

يفعل الران بالقلب، فيجعله يرى الحق باطلاً والباطل حقًا، والهداية ضلالاً، والضلال هداية! قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٣) كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا إن هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا.

ثم عادوا على أنفسهم بالملامة، وندموا حيث لا تنفعهم الندامة، ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: لو كانت لنا عقول ننتفع بها، أو نسمع ما أنزل الله من الحق، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم.

يوم لا ينفع الندم

قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ حيث لا ينفع الاعتراف، وندموا حيث لا ينفع الندم، ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾، ﴿فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: بعدًا وهلاكًا لهم، (وهو دعاء عليهم من الله بعد اعترافهم بذنبهم في الموقف الذي لم يؤمنوا به ولم يصدّقوا بوقوعه، والدعاء من الله قضاء، فهم مبعدون من رحمته، لا رجاء لهم في مغفرة، ولا إقالة لهم من عذاب، وهم أصحاب السعير الملازمون له، ويا لها من صحبة، ويا لها من مصير.

مصير السعداء عند الله تعالى

لما ذكر الله تعالى مصير الأشقياء أتبعه بذكر مصير السعداء، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ولفظ الغيب يشمل: خشية الله من غير أن يروه، كما يشمل خشية الله في السر حين يغيبون عن أعين الناس، يحملهم على ذلك اعتقادهم أن الله لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وأنه يراهم أينما كانوا، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

فإذا همَّ أحدهم بسيئة تذكّر أن الله يراه، فخاف مقامه بين يديه، فرجع عما همّ به، فيدخل بذلك في الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، كما قال ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه».

المراقبة لله والخشية

ولقد كان السلف رضوان الله عليهم يتواصون بمراقبة الله وخشيته، فقد كتب بعضهم إلى أخ له رسالة يقول فيها: زهدني الله وإياك في الحرام زهد من قدر عليه في الخلوة فعلم بأن الله يراه فتركه من مخافة الله.

وهذا هو مقام الإحسان، الذي فسره النبي ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». والله تعالى يقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾، ثم فسره بقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾، والحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم.

نسأل الله أن يمنّ علينا بالحسنى وزيادة آمين.

ثم ذكر الله تعالى عباده بما يحثّهم على مراقبته وخشيته، فقال: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، فالسر والجهر سواء عنده سبحانه، لأنه عليم بما في الصدور، كما قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ لأنه الذي خلق الصدور وما فيها: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾؟

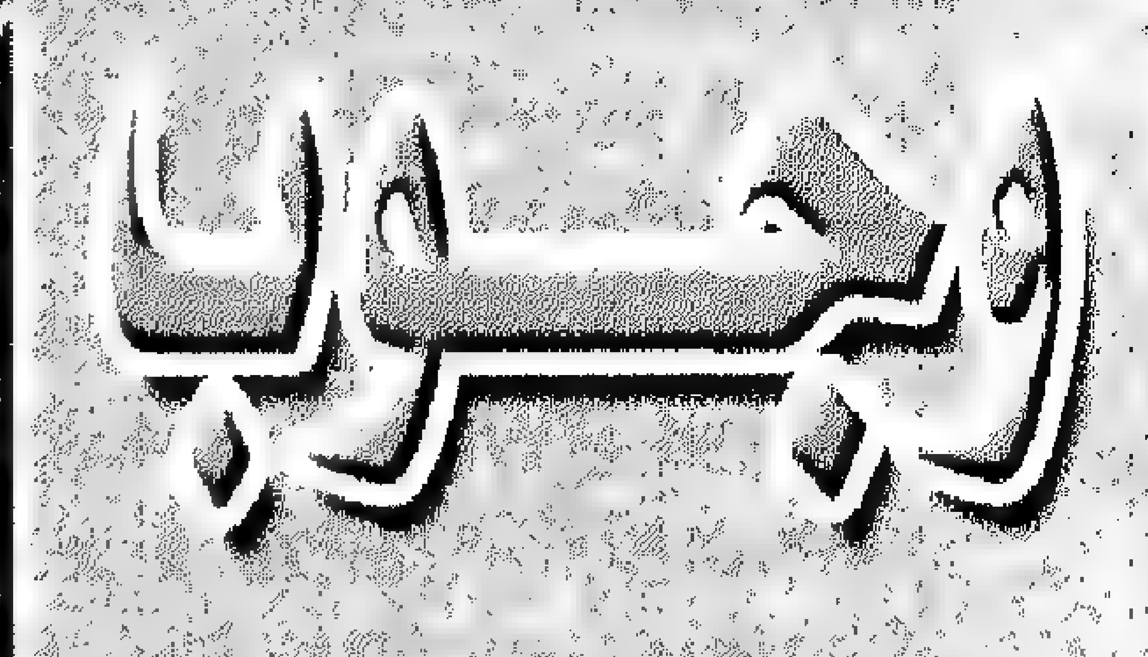
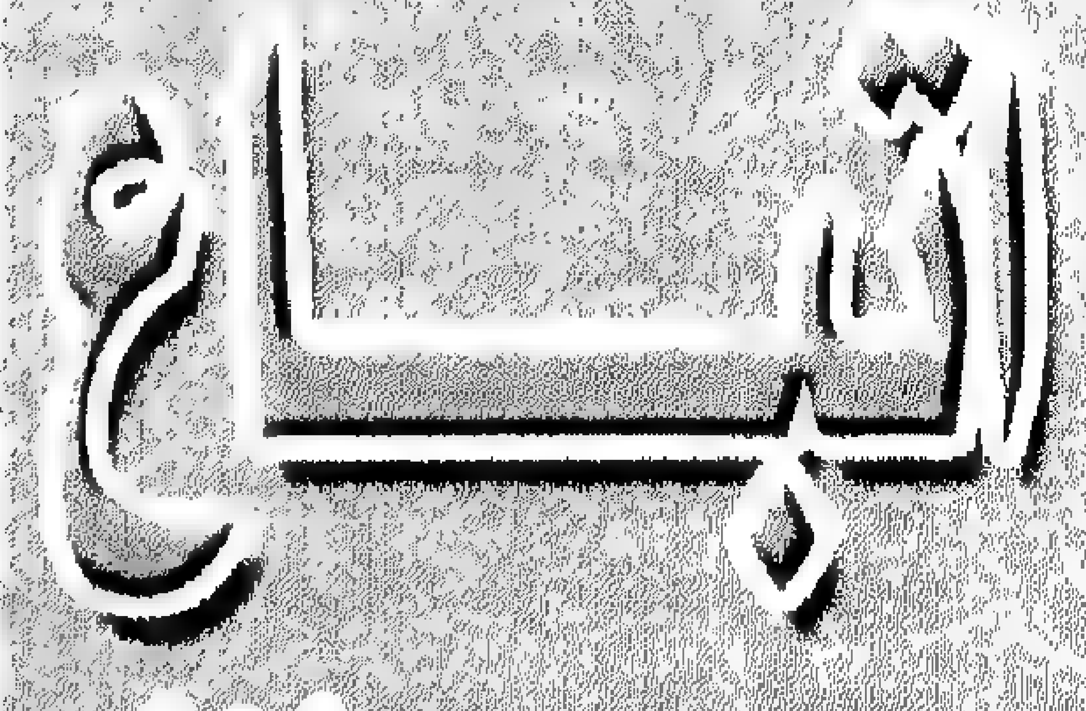
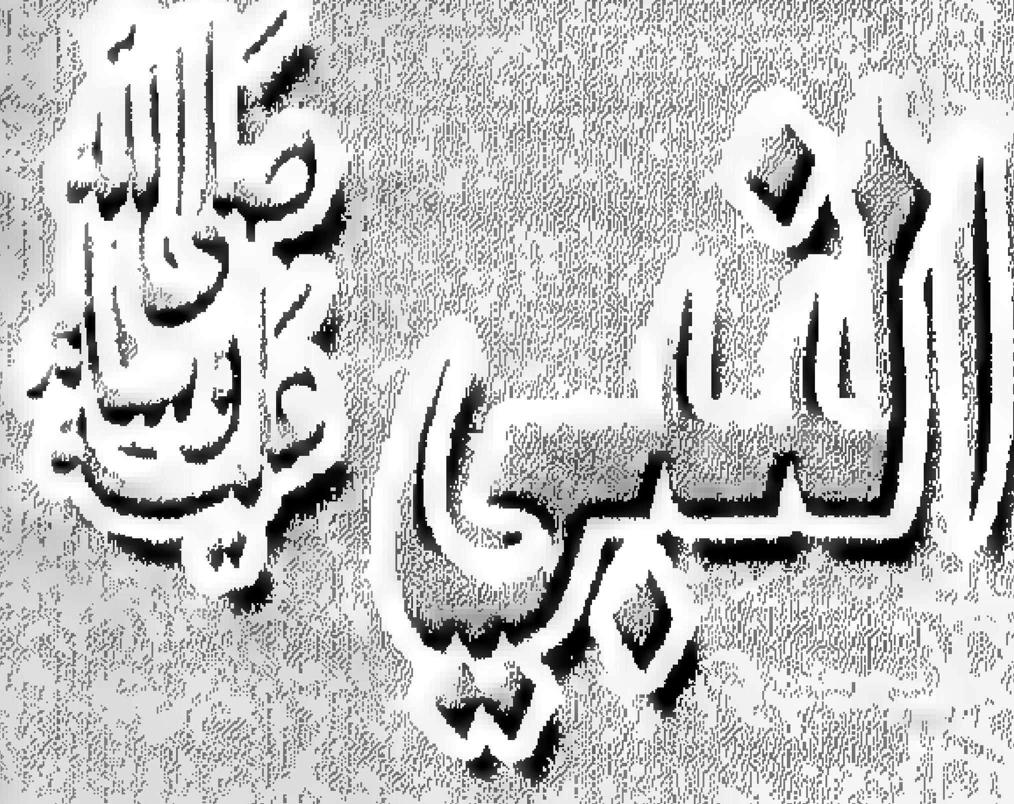
إن البشر وهم يحاولون التخفي من الله بحركة أو سر أو نية، يدعو موقفهم للسخرية، فالذي يُخفون فيه نيتهم من خلق الله وهو يعلم دروبه وخفاياه، والنية التي يخفونها هي كذلك من خلقه، وهو يعلمها، ويعلم أين تكون، فماذا يخفون؟ وأين يستخفون؟

والقرآن يعني بتقرير هذه الحقيقة؛ لأن استقرارها ينشئ إدراكًا صحيحًا للأمور، فوق ما يودعه هناك من يقظة وحساسية وتقوى، تناط بها الأمانة التي يحملها المؤمن في الأرض، أمانة العقيدة وأمانة العدالة، وأمانة التجرد لله في العمل والنية، وهو لا يتحقق إلا حين يستيقن القلب أنه هو وما يكمن فيه من سر ونية من خلق الله الذي يعلمه الله، وهو اللطيف الخبير، عندئذٍ يتقي المؤمن النية المكنونة والهاجس الدفين، كما يتقي الحركة المنظورة، والصوت الجهير، وهو يتعامل مع الله الذي يعلم السر والجهر. الله الذي خلق الصدور فهو يعلم ما في الصدور.

نعم الله على العباد

بعد ذلك يُذكر الله عباده بنعمة من نعمه عليهم، وهي نعمةُ تسخير الأرض، فيقول: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾، أي: سهلة منقادة تحفرونها للبناء، وتشقونها للغرس والزرع، وتستخرجون منها كنوزها، وهي ذلولٌ لا تستعصي عليكم، ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أي: سافروا من قُطر إلى قطر، ومن مصر إلى مصر، ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾، فالرزقُ رزقه، وهو الذي يرزقكم، وسعيكم في البلاد لا يجدي شيئًا إلا بأن ييسره الله لكم. وفي هذا إشارة إلى أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾، سيروا في الأرض، واطلبوا رزق الله، وأنتم متوكلون على الله، واثقون بما عند الله، وأن ما قدّر الله يكون، ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ أي المرجع يوم القيامة، فإذا انقلبتم إلى أهليكم، وعدتم من أسفاركم فتذكروا العودة إلى الله، وأنكم إليه راجعون، فكما ترجعُ من سفرك إلى أهلك، فسترجع من هذا السفر الطويل إلى ربك، فتزود من سفرك زادًا يُرضي عنك ربك إذا رجعت إليه، واعلم أن خير الزاد التقوى.

قال العلماء: ينبغي للعاقل أن يربط كل شيء في الدنيا بنظيره في الآخرة، فإذا نزع ثيابه ليغتسل فليتذكر أنه ستنزعُ عنه ثيابه يومًا ما، وسيغسله رجالٌ لم يروا جسده أبدًا، وعندما يلبس ملابس الإحرام فليتذكر الكفن، وحينما يسمع النداء للصلاة يتذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾، فإذا خرج من بيته إلى المسجد فليتذكر خروجه من قبره إلى أرض المحشر، ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾، فإذا جلس في المسجد ينتظر الإقامة فليتذكر قيامه في أرض الموقف ينتظر نداء المنادي: أين فلان ابن فلان؟ ليقم للعرض على الملك الديان، فإذا أقيمت الصلاة وقام في الصفوف فليتذكر قيامه وحده أمام الله سبحانه للحساب، وقول الله له: «أتذكر ذنب كذا؟

وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم



زكريا الحسيني

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العينَ نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العينَ نائمةٌ والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بني دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أوِّلوها له يَفْقَهْهَا، قال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمةٌ والقلب يقظان، فقالوا: الدار الجنة والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله، ومن عصى محمدًا فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة، باب «الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ»، وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ برقم (٧٢٨١) كما أخرج معناه الإمام الترمذي في جامعه من حديث جابر في كتاب الأدب باب ما جاء في مَثَل الله عز وجل لعباده برقم (٢٨٦٠) ومن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه برقم (٢٨٦١)، والدارمي في المقدمة حديث رقم (١٢).

راوي الحديث

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن غَنْم بن كعب بن سَلمة، قال الذهبي في السير: الإمام الكبير المجتهد الحافظ صاحب رسول الله ﷺ أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي السَّلمي المدني الفقيه.

من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة موتًا، روى علمًا كثيرًا عن النبي ﷺ، وعن عمر وعلي وابي بكر وأبي عبيدة ومعاذ بن جبل والزبير وطائفة. وروى عنه طائفة من التابعين كثيرون، وكان مفتي المدينة في زمانه، عاش بعد ابن عمر أعوامًا وتفرّد. شهد ليلة العقبة مع والده، وكان والده من النقباء البدريين استشهد يوم أحد، وكان جابر قد أطاع والده يوم أحد وقعد لأجل أخواته، ثم شهد الخندق وبيعة الشجرة، وشاخ وذهب بصره، وجاوز التسعين.

وأخرج الترمذي عنه قال: «استغفر لي رسول الله ﷺ ليلة البعير خمسًا وعشرين مرة». وفي الصحيحين عن جابر: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم اليوم خير أهل الأرض». وكنا ألفًا وأربعمائة. قال الإمام الذهبي: مسنده بلغ ألفًا وخمسمائة وأربعين حديثًا؛ اتفق له الشيخان على ثمانية وخمسين حديثًا، وانفرد له البخاري بستة وعشرين حديثًا، ومسلم بمائة وستة وعشرين حديثًا.

شرح الحديث

قوله: «جاءت ملائكة»، قال الحافظ في الفتح: لم أقف على أسمائهم ولا أسماء بعضهم، ولكن في رواية سعيد بن أبي هلال المعلقة عقب هذا عند الترمذي أن الذي حضر في هذه القصة جبريل وميكائيل، ولفظه: «خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا فقال: إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي». فيحتمل أنه كان مع كل منهما غيره، واقتصر في هذه الرواية على من باشر الكلام منهم ابتداءً وجوابًا، ووقع في حديث ابن مسعود عند الترمذي وحسنه، وصححه ابن خزيمة: أن النبي ﷺ توسد فخذه فَرَقَدَ، وكان إذا نام نفخ؛ قال: فبينا أنا قاعد إذا أنا برجال عليهم ثياب بيض، الله أعلم بما بهم من الجمال، فجلست طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ، وطائفة منهم عند رجليه، قوله: «فقال بعضهم إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان». نقل ابن حجر الرامهرمزي قوله: هذا تمثيل يراد به حياة القلب وصحة خواطره، يقال: رجل يقظ إذا كان ذكي القلب، وفي حديث ابن مسعود فقالوا بينهم: ما رأينا عبدًا قط أوتي مثل ما أوتي هذا النبي، إن عينيه تنامان وقلبه يقظان، اضربوا له مثلاً، وفي رواية سعيد بن أبي هلال، فقال أحدهما لصاحبه اضرب له مثلاً، فقال: «اسْمَعْ سَمِعَ أُذُنُك، واعْقِلْ عَقَلَ قَلْبُك إنما مثلك». وفي حديث ربيعة الجرشيّ عند الطبراني نحوه، وزاد أحمد في حديث ابن مسعود: «ليَعقِلْ قَلْبُك». ولقد قال ﷺ عن نفسه لعائشة عندما سألته أتنام قبل أن توتر؟ قال: «يا عائشة، إنّ عيني تنامان ولا ينام قلبي». أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه.

والحاصل أنه إذا كان المقصود يقظة القلب فقد أوتي رسول الله ﷺ الكمال في ذلك، ويحتمل أن هذا مما اختص الله عز وجل به نبيه ﷺ، فيكون من خصوصياته، وحديث عائشة المذكور يرجح ذلك، والله أعلم.

قوله: «مثله كمثل رجل بنى دارًا وجعل فيها مأدبة»، جاء في حديث ابن مسعود: «مثل سيد بني قصرا». وفي رواية أحمد: «بنيانا حصينًا ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه، ومن لم يجبه عاقبه- أو قال- عذبه». وفي رواية: «عذب عذابًا شديدًا»، والمأدبة بسكون الهمزة وضم الدال بعدها موحدة، وحكي فتح الدال، ونقل ابن حجر عن ابن التين قوله عن أبي عبد الملك: الضم والفتح لغتان فصيحتان، ونقل عن أبي موسى الحامض: من قاله بالضم أراد الوليمة، ومن قاله بالفتح أراد أدب الله الذي أدب به عباده. ثم قال ابن حجر عقب ذلك: فعلى هذا يتعين الضم.

قوله: «وبعث داعيًا» في رواية سعيد: «ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه». قوله: «فقال بعضهم أولوها له يَفْقَهْهَا». قال الحافظ في الفتح: قيل يؤخذ منه حجة لأهل التعبير أن التعبير إذا وقع في المنام اعتمد عليه، قال ابن بطال: قوله: «أولوها له» يدل على أن الرؤيا على ما عبرت في النوم. انتهى.

قال: وفيه نظر لاحتمال الاختصاص بهذه القصة لكون الرائي النبي ﷺ والمرئي الملائكة، فلا يطرد ذلك في حق غيرهم.

قوله: «فقالوا الدار الجنة» أي الممثل بها، زاد في رواية سعيد بن أبي هلال «فالله هو الملك والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول الله». وفي حديث ابن مسعود عند أحمد: «أما السيد فهو رب العالمين، وأما البنيان فهو الإسلام، والطعام الجنة ومحمد الداعي، فمن تبعه كان في الجنة».

قوله: «فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله»؛ لأن محمدًا رسول الله ﷺ صاحب المأدبة، فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة، وهو كناية عن دخول الجنة، وقد جاء مبينًا في رواية سعيد، ولفظه: «وأنت يا محمد رسول الله، فمن أجابك دخل في الإسلام، ومن دخل في الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها».

قوله: «ومحمد فَرَّق بين الناس». قال ابن حجر رحمه الله: كذا لأبي ذر بتشديد الراء فعلاً ماضيًا، ولغيره بسكون الراء والتنوين «فَرْقٌ» وكلاهما متجه. زاد في حديث ابن مسعود: «فلما استيقظ قال: سمعت ما قال هؤلاء، هل تدري من هم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هم الملائكة، والمثل الذي ضربوا الرحمن بنى الجنة ودعا إليها عباده».

ولا شك أن محمدًا ﷺ فَرْق الناس، فإنه دعا الناس إلى الله تعالى، فمنهم استجاب لدعوته، ومنهم من أعرض وأبى، وهذا هو المراد بالتفريق.

الأخذ بالسنة مع القرآن

وفي هذا الحديث وأمثاله ما يبين وجوب الأخذ بسنن رسول الله ﷺ، إيمانًا وتصديقًا وعلمًا وعملاً، والرد على من تنكر للسنة وزعم أنه يكتفي

بالقرآن الكريم، فإن هذا الزعم باطل بكل حال، وإن الذين ينكرون سنة رسول الله ﷺ عبارة عن فرق يتفاوتون فيما بينهم، فمنهم من يرد السنة جملةً بزعم أنها من رواية الصحابة، والصحابة- عند هؤلاء- كفار، وهؤلاء هم الروافض، وهم لا شك مبطلون بل من زعم ذلك فقد خرج من الملة وأراد هدم الدين من أساسه، لأن الصحابة الذين نقلوا السنة هم الذين نقلوا القرآن، فمن طعن في السنة من هذا الباب طعن في القرآن فهدم الدين كله من أساسه.

وفريق يعرض السنة على عقله، فما وافق عقله منها قبله، وما لم يوافقه رده، ولا مستند له في ذلك إلا العقل، وربما زعم أنه يرد نصًا بفهمه هو لنصوص أخرى يرى أن فهمه صحيح وبناء عليه يرد السنن. وقد يزيد على ذلك فيتنقص أصحاب رسول الله ﷺ ممن روى تلك الأحاديث التي لم توافق عقله وازدراه وسخر منه.

وفريق ثالث يقف موقفًا آخر فيرى أن لا حجة في أحاديث الآحاد في عقيدة ولا شريعة، وهذا مزلق خطير، إذ فيه رد لمعظم السنن الواردة عن رسول الله ﷺ، غير آبه بصحيح الأحاديث ولا معتمد لما قرره علماء السنة من أصول يعتمد عليها في هذا الشأن.

قال الشافعي في الرسالة: فـفرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله، فقال في كتابه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، مع آي سواها ذكر فيهن الكتاب والحكمة.

قال الشافعي: فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضاه من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، ثم ساق الكلام، إلى أن قال: فأعلمهم أن طاعة رسول الله ﷺ طاعته، فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، واحتج أيضًا بقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ وغيرها من الآيات التي دلت على اتباع أمره ولزوم طاعته، فلا يسع أحدًا رد أمره لفرض الله طاعة نبيه.

قال الشافعي: فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها دل على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه، لأنه إنما يؤدي عنه حلال يؤتى وحرام يجتنب، وحد يُقام ومال يؤخذ ويعطى ونصيحة في دين ودنيا.

ثم أورد البيهقي حديث أبي رافع قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر أمري مما أمرت به أو نهيت عنه يقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعنا». أخرجه أبو داود والحاكم.

وحديث المقدام بن معديكرب أن النبي ﷺ حرم أشياء يوم خيبر منها الحمار الأهلي وغيره، ثم قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يقعد الرجل على أريكته يحدث بحديثي فيقول: بيني وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله». قال البيهقي: وهذا خبر من رسول الله ﷺ عما يكون بعده من رد المبتدعة حديثه فوجب تصديقه فيما بعده.

مناظرة رائعة في فرضية الأخذ بالسنة

ثم أخرج البيهقي بسنده عن شبيب بن أبي فضالة المكي أن عمران بن حصين رضي الله عنه ذكر الشفاعة، فقال رجل من القوم: يا أبا نجيد، إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن، فغضب عمران وقال للرجل: قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعًا، ووجدت المغرب ثلاثًا، والغداة ركعتين، والظهر أربعًا، والعصر أربعًا؟ قال: لا، قال: فعن من أخذتم ذلك؟ ألستم عنا أخذتموه وأخذناه عن رسول الله ﷺ؟ أوجدتم فيه من كل أربعين شاة شاة، وفي كل كذا بعيرًا كذا وفي كل كذا درهمًا كذا؟ قال: لا، قال: فعن من أخذتم ذلك؟ ألستم أخذتموه عنا وأخذناه عن النبي ﷺ؟ وقال: أوجدتم في القرآن: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أو وجدتم فيه فطوفوا سبعًا واركعوا ركعتين خلف المقام؟ أوجدتم في القرآن: لا جلَب ولا جنب ولا شغار في الإسلام؟ أما سمعتم الله قال في كتابه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾. قال عمران بن حصين: فقد أخذنا عن رسول الله ﷺ أشياء ليس لكم بها علم. انتهى ملخصًا من مفتاح الجنة للسيوطي.

والحمد لله رب العالمين



باب: منبر الحرمين

تعريف الأنام بمقاصد الإسلام

لفضيلة الشيخ/ حسين آل الشيخ

إمام الحرم النبوي

الحمد لله على إحسانِه، والشكرُ له على توفيقه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أنَّ نبيّنا وسيدنا محمّدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهمّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

أمّا بعد: فيا أيّها المسلمون، أوصيكم ونفسي بتقوَى الله عزّ وجلّ، فبها يحصل المخرجُ مِن كلِّ ضيق والتيسيرُ من كلِّ أمر عسير.

معاشرَ المسلمين، إنّ الشريعةَ الإسلامية ومِن منطلَق حِرصها على إسعادِ البشريّة وتحقيق الخير والفلاح للخليقة قد جاءت أحكامُها لمقاصدَ عاليةٍ وتحقيق غايات فاضلةٍ وأهدافٍ سامية، تلكم هي المقاصدُ الشرعيّة التي هي علمٌ من علوم الشريعة، حظيت من المحقِّقين باهتمامٍ بالغ وعناية فائقة، ذلكم أنّ أيَّ تصرُّفٍ يتصرّفه المسلم مهما حسُنت النوايا يجُب أن يكونَ متَّفِقا مع مقاصدِ الدين، متمشّيًا مع سنّة سيّد الأنبياء والمرسلين، حتى لا يهدم المرءُ إسلامَه من حيث لا يشعُر، ولا يُفسِد دينَه من حيث لا يعقِل، وحينئذٍ متى حصلتِ المخالفة لمقاصد الدين حصَل الضلال والإضلال والضررُ والفساد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في حَقّ الخوارجِ الذين خرَجوا على صحابةِ رسول الله: "وقلَّ من خرَج على ذي السلطان إلاّ وتولّد على فِعله من الشرِّ أعظمُ ممّا تولَّد من الخير - إلى أن قال رحمه الله: - فما أقاموا دنيا، ولا أبقَوا دينًا" انتهى(١)، ويقول ابن القيم رحمه الله بعد أن قرّر مجيءَ الشريعةِ لمصالح العباد: "وهذا فصلٌ عظيمُ النفع جدًا، وَقع بسببَ الجهل به غلطٌ عظيم على الشريعة" انتهى(٢).

وإنَّ أمّتنا وهي تعاني ما تعاني من الشدائدِ والمِحن لفي ضرورةٍ لتفهُّم المقاصد العامّة لهذا الدين، وفي حاجةٍ ماسّة لدراسة أهداف شريعة الإسلام والتعمُّق فيها والعَمَل على وقفها؛ لإصلاح المنهَج النظريّ العلميّ والمنهج العمليّ الاجتماعي التطبيقي، خاصّة شباب الإسلام الذين هم عِماد الأمة ومصدرُ قوّتها. نعم، إنَّ الواجبَ عليهم التبصُّر في مقاصد دينهم والوعيُ التامّ لها؛ ليتجنّبوا سوءَ المأخَذ وفساد الاستنتاج وقُبحَ الأعمال، وحتى تترقّى مداركُهم وتظهرَ جهودُهم في أجمل المظاهرِ التي أرادها هذا الدين، ولتنبع أفعالهم من روح الإسلام وتنساق من مقاصِده وتوفِي بحاجات الدّعوةِ وتواكِب مقتضياتِ الزمان وَتغيُّرات العصر.

مقاصد الشريعة

معاشرَ المسلمين، مقاصِدُ الشريعة ترجِع في أصلها وتعود في مُجمَلها إلى تحقّيق القاعدةِ الكلّية الكُبرى: الحرصُ الشديد على جَلب المصالح وتكثيرها، والتأكيدُ البالغ على دَرء المفاسد وتقليلها. ومِن هنا فالغاية الجامعةُ والمقصَد العامّ من التشريع

في الإسلام بعد تحقيق العبُوديّة لله هو حِفظ نظام الأمّة واستدامةُ صلاحِها بعمارةِ الأرض، وحِفظُ نظام التعايُش فيها، والحرصُ على حِفظ نظام العالمَ وضبطِ تصرُّفات الناس فيه على وجهٍ يعصِمِ من التفاسُد والتهالك، يقول جل وعلا: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف:٥٦)، ويقول سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ (محمد:٢٢، ٢٣)، ويقول جل وعلا: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة:٦٤).

إخوةَ الإسلام، من المقاصدِ العليا للإسلام في هذه الحياة إقامةُ العدلِ بشتّى صُوَره وإشاعة الرحمةِ بين الخلق بأوسع معانيها وتحقيقُ الإحسان في جميع مجالاته، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ (النحل:٩٠)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة:٨٣)، ونبينا يقول: «إنّ الله كتَب الإحسانَ على كلّ شيء»(٣).

معاشرَ المسلمين، ومِن المقاصِد الكبرى لشريعة محمّد تلك الملقّبة عند العلماء بالضروريات الخمس: حفظُ الدين والنفوس والأموال والعقول والأنساب، تلك الكلّيات الخمس التي هي بمنزلةِ الثوابت المطّردة والقيَم الخالدة في هذا الدين، والتي بها قِوام حياة الإنسان، وعليها مدارُ العمران، وبها انتظامُ الإسلام، لا يستقيم النظام باختلالها، ولا يهنأ عيشٌ بدون سلامتِها، بل إذا انخرمت تؤول حالُ الأمّة إلى فسادٍ وتلاش وضعفٍ وهوان، ونصوصُ الشريعة في مراعاةِ هذه الضروريّات أشهرُ من أن تُذكَر، وأبرز ما أن تُحصَر، ولذا ففي التطبيقات العملية من سيِّد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام ومن خلفائه الراشدين ممّا هو متواترٌ وشيء ظاهر مشتهر في مراعاتها والعمل في وفقها:

إنّ النبيَّ وهو في حالة الحربِ مع الكفار الحربيِّين ينهى عن قتلِ النساء والصبيان ومن ليس من أهل القتال حِفظًا للنفوس من الإهدار والإفساد.

وهذا عمر الفاروق رضي الله عنه ينطلق في نظراته من هذه المقاصد، يقول: (والذي نفسي بيده، ما يسرُّني أن تفتحوا مدينةً فيها أربعةُ آلاف مقاتِل بتضييع رجلٍ مسلم) أخرجه سعيد بن منصور في سننه(٤)، ونراه يرسل إلى عمّالِه كاتبًا لهم: (لا تستعمِلوا البراءَ بنَ مالك على جيشٍ من جيوش المسلمين؛ لأنّه كان شديدَ الجراءة، يقتحم المهالكَ بأمّة محمد)(٥).

وها هم علماءُ الإسلام يقرِّرون انطلاقًا من القرآن والسنّة بأنّ الكفار الحربيِّين متى تترّسوا بمسلمين ولو بواحدٍ أو تترّسوا بذمّيِّين يعيشون في ديار الإسلام فلا يجوز رميُهم صيانةً للنفوس إلاّ في حالات ضرورة قصوى يقرّرها وليُّ أمر المسلمين، بل وهكذا الحكمُ عندهم لو تترّس الكفّار الحربيّون بنسائهم وأطفالهم، حِفظًا من الشريعةِ للنفوس البشرية التي خلقها الله جل وعلا، وما خلقه مكرّمٌ كما قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء:٧٠).

ومِن مقاصد الإسلام الحرصُ على درءِ كلِّ ما يعود على هذا الدين بالتنفير منه، ومَنع إظهار أيّ صورةٍ قد تكون سببًا للمَنع من دخول الناس في دين محمّد، ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام:١٠٨)، والنبيّ قد كفّ عن قتلِ المنافقين في المدينةِ مع كونه مِن أعظم المصالح ذاك الوقت لئلاّ يكون ذريعةً إلى تنفير الناس عن دين الإسلام وقولهم: إنّ محمّدًا يقتل أصحابه.

قال العلماء: لأنّ مفسدةَ التنفير أكثرُ من مفسدةِ (ترك) المنافقين، ومصلحة التأليف أعظمُ من مصلحة القتل؛ ولذا ففي عالم اليوم تجد المتربِّصين للإسلام يتصيَّدون لكلّ تصرّفٍ يصدُر من أبناءِ الإسلام لينالوا من الإسلام وخصائصِه ونبيِّه، مع أنّ تلك التصرُّفات لا تمتّ للإسلام بصلة؛ كترويع الآمنين وسفك الدماء وتخريب العمران.

ومن مقاصدِ شريعة الإسلام تحقيقُ وَحدة المسلمين والتأليف بين قلوبهم وجمعُ كلمتهم ومنع كلّ ذريعة للتفرُّق والاختلاف والتنازُع، قال ابن القيم: "وهذا مِن أعظم مقاصد الشَّرع، وقد سدّ الشرع الذريعةَ إلى ما يناقضه بكلّ طريق حتى في تسوية

من مقاصد الإسلام حفظ الضروريات الخمس وهي الدين والنفس والمال والعقل والنسل، ومن مقاصده إقامة العدل وإشاعة الرحمة، وحفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحها.

الصفّ في الصلاةِ لئلاّ تختلفَ القلوب، وشواهدُ ذلك أكثر من أن تُذكَرْ" انتهى(٦)، يقول الله جلّ وعلا: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا (آل عمران:١٠٣)، ويقول جل وعلا: وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ (الأنفال:٤٦)، ونبيُّنا يقول فيما رواه مسلم: «مَن خرَج من الطاعة وفارقَ الجماعةَ فمات ماتَ ميتةً جاهلية»(٧) والعياذ بالله.

ومن هنا حرص الأعداءُ بكلِّ طريقٍ على تعميق الهوّة بين أفرادِ الأمة وبين علمائها وولاةِ أمورها، حتى يحصلَ الشرُّ العظيمُ بالأمّة ويتحقّق للأعداءِ ما يريدون، لذا فالضرورةُ اليومَ داعيةٌ إلى التكامُل والتعاضد بين العلماء والحكّام والمجتمع ككلٍّ على منوال الشريعةِ لتحقيقِ المقاصدِ الشرعيّة والأهداف المرعيةِ التي جاء بها سيِّد البشر محمد.

إخوةَ الإيمان، ومن مقاصد شريعة الإسلام سدُّ الفِتَن وأبوابِها ومنعُ الشرور وطُرُقِها، يقول ابن القيم رحمه الله في تأصيل قاعدةِ سدّ الذرائع: "الوجه الثامن والتسعون: نهيُ النبيِّ عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة وإن ظلموا أو جاروا ما أقاموا الصلاة، سدًّا لذريعة الفسادِ العظيم والشرِّ الكثير بقتالهم كما هو الواقع، فإنّه حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم أضعافُ أضعافِ ما هم عليه، والأمّة في بقايا تلك الشرور إلى الآن" انتهى كلامه المتين(٨)، ويقول أيضًا في النهي عن إنكار المنكَر إذا كان يلزم منه ما هو أنكرُ منه، يقول رحمه الله في كلام عليه نورٌ: "وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنّه أساسُ كلِّ شرٍّ وفتنة إلى آخر الدهر – إلى أن قال: – ومن تأمّل ما جرى على الإسلام في الفِتَن الكبار والصِّغار رآها من إضاعةِ هذا الأصل وهو إنكار المنكر إذا كان يترتّب عليه ما هو أنكرُ منه، ومن عدم الصبر على المنكَر، فيطلب إزالتَه، فيتولّدُ منه ما هو أكبر منه" انتهى(٩).

وانطلاقًا من هذا المبدأ قرّر محقّقو العلماء مبدأً مهمًّا يجب أن يُفعَّلَ في واقع المسلمين، وهو قولهم: ليس كلُّ ما هو حقّ معلومٌ يجوز نشرُه ممّا يؤدّي إعلانُه إلى مفسدةٍ من فتنةٍ وفوضى وشرّ، قال الشاطبي رحمه الله: "ومنها – أي: العلوم – ما لا يُطلَب نشرُه بإطلاق، وذلك ممّا يتضمّن ضررًا محضًا" انتهى(١٠)، خاصةً عند العامّة وشباب الأمة ممّن قد يكون لبعضهم فتنةً لعدم وجودِ العلم الكافي لديهم، وعدم الإدراك الكامل، وهذا منهجٌ معروف عند سلَفِ هذه الأمّة، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (ما أنتَ بمحدِّثٍ قومًا حديثًا لا تبلُغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)(١١)، وهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في حادثةٍ يقول لعمر حينما أراد عمر رضي الله عنه التحذيرَ من النفر الذين تكلّموا في مسألةٍ من مسائل الإمامةِ وهو في موسم الحجّ، قال عبد الرحمن: (لا تفعَل، فإنّ الموسمَ يجمع رعاعَ الناس، ويغلبون على مجلسك – أي: يقترّبون منك –، فأخاف أن لا يُنزلوا مقالتَك على وجهها، وأن يُطيروها كلَّ مطير، وأمهِل – يا عمر – حتى تقدُم المدينة، فتخلصَ إلى أصحابِ رسول الله، فيحفظوا مقالتَك، وينزلوها على وجهها)، فوافقه عمر وهو الموفّق الملهَم(١٢).

ومن مقاصد الإسلام تحريرُ العقول من التقليدِ والتّبعيّة المجرّدة، تلك التبعيّة التي تستعبد الأفكارَ وتستأسر العقولَ من باب الإعجابِ بالآراء ليس إلاّ، وتنزيهها من الخطأ، وبالتالي تنعدِم عند المسلمين ملكةُ النقد، وتسود عقليةُ التسليم مهما كانت الآراءُ المتلقّاة لا تنهَض على حجّةٍ ولا يقودها دليلٌ سوى العاطفة والحماس.

لذا حريٌّ بشبابِ الأمّةِ شبابِ محمّد أن يتّقوا الله جلّ وعلا في دينهم، وأن لا يأخذوا الفتاوى والآراءَ إلا من أهلِها أصحابِ الدّراية والرواية، وليحذَروا من تلك الشّبكاتِ العنكبوتية التي تبرزُ الغثّ والسمين والصوابَ والخطأ، لا يُعلَم مصدرُها، ولا يوثَق بخبرِها، والله جل وعلا يقول: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (النحل:٤٣)، وفي الحديث: «حتى إذا لم يُبقِ عالمًا اتّخذ الناسُ رؤوسًا جهّالاً، فأفتوا فضلّوا وأضلّوا»(١٣) عياذًا بالله.

معاشرَ المسلمين، استقراءُ الشريعة في أقوالها وتصرّفاتها حجّةٌ قاطعة بأنّ من مقاصدها العليا أن يوجَد للأمة ولاةٌ يسوسون مصالحها ويقيمون العدلَ وينفّذون أحكامَ الله فيها، لذا كانت الولايةُ السلطانية من لوازم الشريعة، لئلاّ تكون في بعضِ الأوقات معطّلةً، يقول عليّ رضي الله عنه وهو من مدرسةِ محمّد: (إنّ الناسَ لا يُصلحهم إلا إمامٌ برّ أو فاجر)(١٤).

ومن هنا الزمتِ الشريعةُ الحاكمَ بتقوى الله عز وجل في كلّ أموره، وبالسّعي في جلب مصالح الأمة ودرء المفاسد عنها، وأوجبت على الرعيّةِ طاعةَ الحاكم في غير معصية الله، وعدمَ الخروج أو الافتيات عليه، بل له في الشريعة الدعاءُ والنّصحُ الصادق برفقٍ ولُطفٍ، مع المعاونة له على الحقّ.

أيّها المسلمون، أمّةَ الإسلام، شبابَ الإسلام، ها هي بعضُ مقاصدِ سيِّد الخلق ودين محمّد، حينئذٍ فكلّ عاقلٍ وكلُّ متبصِّر لا يشكّ أدنى شكٍّ أنّ هذه الأعمالَ الإجرامية التي وقعت في أماكنَ من بلاد الحرمين كحادثة الرياضِ ثم حوادثِ جدّة ثم ما وقع أخيرًا في مدينة ينبع كلّها أعمالٌ شنيعة، جمعت من القبائح ما لا يُحصَى، ومن مخالفةِ أمر الله ورسوله ما لا يعَدُّ ولا يُحصَر. أعمالٌ لا تستقيم مع مقاصد

الشريعة التي سمعنا بأيِّ وجهٍ من الوجوه، بل هي مضادَّةٌ لها، مصادِمةٌ لمجملها وتفصيلها، بل إنَّ هذه الأعمالَ وأمثالها لا تصبُّ إلا في وخدمةِ أعداء الإسلام وتحقيق مصالحهم في ضرب الإسلام وأهله، ولذا فما فرح أعداء الإسلام بمثل فرحتهم بمثل هذه الأعمال، فيا خيبةَ من كان وسيلةً للأعداء وآلةً سهلةً لهم في هدم مقاصدِ الإسلام، والله جلَّ وعلا يقول: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل:٩٤).

ولنستمع إلى النور من مشكاةِ النبوَّة، يقول: «من خرج من الطاعةِ وفارقَ الجماعة فمات ماتَ ميتةً جاهلية، ومن قاتل تحتَ راية عمِّيَّة يغضَب لعصبيَّة أو يدعو إلى عصبية أو ينصُر عصبية فقُتل فقتلته جاهلية، ومَن خرج على أمَّتي يضربُ برَّها وفاجرَها ولا يتحاشى من مؤمنِها ولا يفي لذي عهدٍ عهدَه فليس مني ولستُ منه» أخرجه مسلم(١٥).

وعن رفاعة بن شدَّاد قال: كنتُ أقوم على رأس المختار، فلمَّا تبيَّنتُ كذبَه - وهو الذي ادَّعى النبوة - هممتُ - وايم الله - أن أسلَّ سيفي فأضربَ عنقَه، حتى ذكرتُ حديثًا حدَّثناه عمرو بن الحمِق قال: سمعتُ النبيَّ يقول: «من أمَّن رجلاً على نفسِه فقتله أُعطِيَ لواء الغدر يومَ القيامة»(١٦).

فيا أيُّها المسلمون، أذكِّر نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجلَّ، فهي وصيَّة الله للأوَّلين والآخرين.

معاشرَ المسلمين، من مقاصدِ شريعة الإسلام التركيزُ على الفقهِ في الدِّين ومداولةِ تعاليمه بعلمٍ شرعيٍّ فيه من الله برهانٌ مبين، فالخير كلُّ الخير للأفرادِ والأمَّة جميعًا بثُّ العلوم الشرعيَّة والمعارف السُّنِّيَّة، فرسولنا يقول: «من يُرِدِ الله به خيرًا يفقِّهه في الدين»(١٧).

والأمَّة على مستوى آحادِها ومجتمعاتِها ينبغي أن لا تصدُرَ ولا ترِدَ إلاَّ بعلمٍ دقيق وفقهٍ ضليع في عباداتها وفي جميعِ شؤون حياتها، وذلك لا يكون إلاَّ عن طريق التلقِّي من العلماء ذوي النظرِ السديد في فقه الشريعة والتمكُّن الدقيق في معرفةِ مقاصدها، مع الخبرة بمواضع الحاجة في الأمَّة والمقدرة على إمدادِها بالمعالجة الشرعية لاستبقاءِ عظمتِها واستِرفاء خُروقها.

وحينئذ فقضايا الأمَّة ومسائلُها النازلة لا ينبغي بأيِّ حالٍ عَرضُها على الاجتهادات الفرديَّة، بل لا بدَّ من جمع مجامعَ علميَّةٍ من أكابر علماء الإسلام، ليبسطوا بينهم حاجات الأمة، ويصدروا فيها عن وفاقٍ فيما يتعيَّن عملُ الأمة عليه، فكفانا وكفانا تفرُّقًا واختلافًا.

فتحقيقُ مقاصد الشريعة التي هي أمانةٌ على كلِّ فردٍ من أفراد الأمة، تحقيقُها على نحوٍ أكمل غيرُ ممكنٍ بدون استيعابٍ لواقع الأمَّة السياسيِّ والاقتصاديِّ والاجتماعيِّ وتقديرٍ دقيقٍ لحاجاتها وإحاطةٍ شاملةٍ لعلاقاتها مع غيرها من الأمم، وذلك كلُّه لا سبيلَ إليه إلاَّ بالدراية العلميَّة المتخصِّصة الحصيفة، والعمل الدؤوب في إطارِ عملٍ جماعيٍّ مؤسَّسي.

قال أهل التحقيق من علماء الإسلام قديمًا: "ومعرفة المقاصد الشرعيَّة المتعلِّقة بالأمَّة توكَل إلى نظر علماء الأمة وولاةِ أمورها الأمناءِ على مصالحها أهلِ الحلِّ والعقد ليُعيِّنوا لها الوصفَ الجدير بالاعتبار في أحد الأحوال دون غيره". يقول هذا القولَ قبلَ أكثرَ من سبعين سنة.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وممَّا ينبغي أن يُعلَم أنَّ أسبابَ هذه الفتنة تكون مشتركةً، فيرد على القلوب من الوارداتِ ما يمنع القلوبَ من معرفةِ الحقِّ وقصده" انتهى(١٨).

وحينئذٍ فلا مفرَّ من ذلك إلاَّ بالعلم وعدَم الإقدام على ما يمسّ قضايا الأمَّة إلاَّ بالاجتهادات الاجتماعية لا المعارف الفردية.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/٥٢٧-٥٢٨). (٢) إعلام الموقعين (٣/٣).
(٣) أخرجه مسلم في الصيد (١٩٥٥) عن شداد بن أوس رضي الله عنه.
(٤) أخرجه الشافعي في الأم (٤/٢٥٢)، ومن طريقه البيهقي في الكبرى (٩/٤٢).
(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/١٦)، والحاكم في المستدرك (٥٢٧١) عن محمد بن سيرين قال: كتب عمر بن الخطاب وذكره.
(٦) إعلام الموقعين (٣/١٤٥). (٧) صحيح مسلم: كتاب الإمارة (١٨٤٨) عن أبي هريرة.
(٨) إعلام الموقعين (٣/١٥٩). (٩) إعلام الموقعين (٣/٤). (١٠) الموافقات (٤/١٨٩).
(١١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه. (١٢) أخرجه البخاري في الاعتصام (٧٣٢٣).
(١٣) أخرجه البخاري في العلم (١٠٠)، ومسلم في العلم (٢٦٧٣) عن عبد الله بن عمرو.
(١٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/٤٦٣). (١٥) صحيح مسلم: كتاب الإمارة (١٨٤٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(١٦) أخرجه أحمد (٥/٢٢٣، ٢٢٤، ٤٣٦)، والنسائي في الكبرى (٥/٢٢٥)، وابن ماجه في الديات (٢٦٨٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٣٤٥)، والبزار (٢٣٠٦)، والطحاوي في شرح المشكل (١/٧٧)، وقال البوصيري في الزوائد (٣/١٣٦): "إسناده صحيح، رجاله ثقات"، وهو مخرج في السلسلة الصحيحة (٤٤٠).
(١٧) أخرجه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٧) عن معاوية. (١٨) منهاج السنة (٤/٥٣٨).

القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد

الحلقة السابعة والأخيرة

إعداد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإننا قد استعرضنا دلائل أقسام التوحيد في الحلقات السابقة، وتبين مما سبق أن جميع هؤلاء الأئمة المذكورين قائلون بتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، موافقون لأهل السنة والجماعة فيه، ولن تجد أحدًا من السلف ينكر هذا التقسيم، ولو بحثت في كتب أهل العلم ما حييت، بل ستجد النصوص الكثيرة عنهم في ذكر هذا التقسيم اتباعًا للكتاب والسنة ولزومًا لما جاء فيهما، فهم يتبعون ولا يبتدعون، ومخالفوهم هم أهل البدع والأهواء، المشاقون لله ولرسوله، المتبعون غير سبيل المؤمنين.

بل إن المتكلمين هم أنفسهم يقسمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام. قال شيخ الإسلام: «فإن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع، فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له». [الفتاوى ٣/٩٨]

وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام عنهم موجود في كتبهم، يقول الشهرستاني: وأما التوحيد فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

[الملل والنحل ١/٤٢]

وقال البيجوري- وهو من المتكلمين-: ويجب في حقه تعالى الوحدانية في الذات وفي الصفات وفي الأفعال؛ ومعنى الوحدانية في الذات أنها ليست مركبة من أجزاء متعددة، ومعنى الوحدانية في الصفات أنه تعالى ليس له صفتان فأكثر من جنس واحد كقدرتين وهكذا، وليس لغيره صفة تشابه صفته تعالى، ومعنى الوحدانية في الأفعال أنَّه ليس لغيره فعل من الأفعال، وضدها التعدد.

[رسالة في علم التوحيد ضمن مجموع مهمات المتون ص٤٠]

ثم إن تقسيم هؤلاء المذكور ينطوي على أمور باطلة كثيرة ليس هذا موضع بيانها، لكن أهمها على سبيل المثال:

-إهمالهم في هذا التقسيم لذكر توحيد الألوهية والدعوى إلى إخلاص الدين لله وإفراده وحده بجميع أنواع العبادة، الذي هو زبدة دعوة الرسل وروحها، فهذا النوع من التوحيد لا ذكر له عندهم البتة.

ومن المعلوم أن المشركين لو أقروا بذلك كله لم يخرجوا من الشرك الذي وصفهم الله به في القرآن وقاتلهم عليه الرسول ﷺ ما لم يأتوا بتوحيد الألوهية.

هذا ما وفقنا الله عز وجل إليه في بيان بعض الدلائل والبراهين على أقسام التوحيد وصحة تقسيمه إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. والحمد لله رب العالمين.

درر البحار من صحيح الأحاديث القصار

ألف حديث كل ثلاث سنوات

الحلقة الرابعة «٩١ : ١٢٠» **إعداد/ علي حشيش**

٩١- «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَد دَعَا بها فَاسْتُجِيبَ فجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ». [متفق عليه من حديث أنس]

٩٢- أَسْبِغُوا الوضُوءَ فإنَّ أبَا القَاسِمِ ﷺ قال: «وَيْلٌ للأعْقَابِ مِنَ النَّارِ».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٩٣- «كَلِمتَانِ خَفِيفَتَانِ على اللسانِ، ثَقِيلتانِ في الميزانِ، حَبِيبَتَانِ إلى الرحمنِ: سبحَانَ اللهِ وبحمدِهِ، سبحانَ اللهِ العَظِيمِ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٩٤- كانَ النَّبِيُّ ﷺ إذَا دَخَلَ الخَلاءَ قالَ: «اللهمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ(١) والخَبَائِثِ». [متفق عليه من حديث أنس]

٩٥- «إذا أُقِيمَتْ الصلاةُ فَلا تَأْتُوهَا تَسْعَونَ واتُوهَا تَمْشُونَ وعليكُم السكِينَةُ، فما أدْرَكْتُم فَصَلُّوا ومَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٩٦- «مَن أدْرَكَ رَكعَةً مِنَ الصَّلاةِ فَقَد أَدْرَكَ الصَّلاةَ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٩٧- «ليسَ الغِنَى عن كَثْرَةِ العَرَضِ، ولَكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٩٨- «اللهمَّ ارْزُق آلَ محمدٍ قُوتًا». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٩٩- «لاَ يَبِيعُ بَعضُكُم على بَيعِ أخيه». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

١٠٠- «لا يَحِلُّ دَمُ امرئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ إلا بإحدَى ثَلاثٍ: النفسُ بالنفسِ، والثَّيبُ الزَّاني، والمفارقُ لدينهِ التَّارِكُ للجماعَةِ».

[متفق عليه من حديث ابن مسعود]

١٠١- جَلَدَ النَّبِيُّ ﷺ في الخمرِ بالجَرِيدِ والنِّعالِ وجَلَدَ أبو بكرٍ أربعينَ.

[متفق عليه من حديث أنس]

١٠٢- «لاَ يُجْلَدُ فَوقَ عَشْرِ جَلَدَاتٍ، إلاَّ في حَدٍّ مِن حُدُودِ اللهِ».

[متفق عليه من حديث أبي بردة]

١٠٣- «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يومَ القِيَامَةِ، يُنْصَبُ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ».

[متفق عليه من حديث ابن مسعود]

١٠٤- «إنَّ الغَادِرَ يُنْصَبُ لَه لواءٌ يَوْمَ القيامَة فيُقَالُ: هَذه غَدْرَةُ فُلانِ بنِ فُلانٍ».

[متفق عليه من حديث ابن عمر]

١٠٥- «الحَرْبُ خُدْعَةٌ». [متفق عليه من حديث جابر]

١٠٦- دَخَلَ النبيُّ ﷺ مَكّةَ وحوْلَ الكَعْبَةِ ثَلاثُمائَةٍ وَسِتُّونَ نُصُبًا، فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِعُود في يَدِه، وجَعَلَ يقولُ: «جَاءَ الحقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ».

[متفق عليه من حديث ابن مسعود]

١٠٧- «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّه» يُشِير إلى رَبَاعِيَتِهِ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رسولُ اللهِ ﷺ في سَبِيلِ اللهِ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

١٠٨- «لاَ عَيشَ إلاَّ عَيشُ الآخرةِ، فأصلحِ الأنصارَ والمُهاجِرة».

[متفق عليه من حديث أنس]

١٠٩- «مَنْ كَرِهَ مِن أَميرِهِ شَيئًا فَلْيَصْبِر، فإنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِن السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». [متفق عليه من حديث ابن عباس]

١١٠- «سَتَكُون أَثَرَةٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونَها». قالُوا: يا رسولَ اللهِ، فما تأمُرنا؟ قال: «تُؤَدُّون الحقَّ الذي عليكم، وتَسألونَ اللهَ الذي لكم». [متفق عليه من حديث ابن مسعود]

١١١- «الطَّاعُون شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ». [متفق عليه من حديث أنس]

١١٢- قال النبيُّ ﷺ يومَ فتح مكَّةَ: «لاَ هِجْرَةَ بَعدَ الفَتْحِ ولكن جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وإذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فانْفِرُوا». [متفق عليه من حيدث ابن عباس]

١١٣- «مَنْ تَصَبَّحَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرُّهُ ذلِكَ اليَوْم، سُمٌّ وَلاَ سِحْرٌ».

[متفق عليه من حديث سعد]

١١٤- «طَعامُ الاثْنَينِ كَافِي الثَّلاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

١١٥- «الَّذِي يَشْرَبُ في إنَاءِ الفِضَّةِ إنَّما يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ».

[متفق عليه من حديث أم سلمة]

١١٦- «إذا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أهلُ الكِتَابِ، فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ». [متفق عليه من حديث انس]

١١٧- «إذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمُ اليَهُودُ فإنَّما يقُولُ أَحَدُهُم: السَّامُ(٢) عَلَيْكَ، فقُلْ وَعَلَيْكَ».

[متفق عليه من حديث ابن عمر]

١١٨- «لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا يَرِيهِ، خَيْرٌ مِن أنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

١١٩- «أَصْدَقُ كَلِمةٍ قالَها الشَّاعِرُ، كلمةُ لَبِيد: أَلاَ كُلُّ شَيءٍ مَا خَلا اللهُ بَاطِلٌ، وَكَادَ أُمَيَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

١٢٠- «يُحْشَرُ النَّاسُ يومَ القِيَامَةِ عَلَى أرضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ لَيْسَ فيها مَعْلَمٌ لأَحَدٍ». [متفق عليه من حديث سهل بن سعد]

والبقية في العدد القادم بإذن الله تعالى



الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .... وبعد:

عنى العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة، فتتبعوا القرآن آية آية، وسورة سورة لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب، لا يكتفون بزمن النزول ولا بمكانه، بل يجمعون بين الزمان والمكان والخطاب، وهو تحديد دقيق يعطي للباحث المنصف صورة للتحقيق العلمي في علم المكي والمدني، وهو شأن علمائنا في تناولهم لمباحث القرآن الأخرى.

إنه جهد كبير أن يتتبع الباحث منازل الوحي في جميع مراحله، ويتناول آيات القرآن الكريم فيعين وقت نزولها، ويحدد مكانها، ويضم إلى ذلك الضوابط القياسية لأسلوب الخطاب فيها، أمن قبيل المكي أم من قبيل المدني؟ مستعينًا بموضوع السورة أو الآية، أمن الموضوعات التي ارتكزت عليها الدعوة الإسلامية في مكة أم من الموضوعات التي ارتكزت عليها الدعوة في المدينة؟

وإذا اشتبه الأمر على الباحث لتوافر الدلائل المختلفة رجح بينها فجعل بعضها شبيهًا بما نزل في مكة، وبعضها شبيهًا بما نزل في المدينة.

وإذا كانت الآيات نزلت في مكان ثم حملها أحد من الصحابة فور نزولها لإبلاغها في مكان آخر ضبط العلماء هذا كذلك، فقالوا: ما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة. وقد حرص العلماء على الدقة، فرتبوا السور حسب منازلها سورة بعد سورة، وقالوا سورة كذا نزلت بعد سورة كذا، وازدادوا حرصًا في الاستقصاء، ففرقوا بين ما نزل ليلاً وما نزل نهارًا وما نزل صيفًا وما نزل شتاءً، وما نزل في الحضر وما نزل في السفر.

بقلم/ مصطفى البصراتي

تعريف المكي والمدني

ما الذي يُقصدُ بوصف السورة بأنها مكية أو مدنية؟

وقبل أن نتحدث عن تعريف المكي والمدني ثمة سؤال يطرح نفسه في هذا المقام، وهو ما الذي يُقصد بوصف السورة بأنها مكية أو مدنية؟

هل هي بأجمعها، أو أن المراد بعض السورة، أو العبرة بالغالب؟ إذ قد يكون في السورة المكية بعض آيات مدنية، وفي السورة المدنية بعض آيات مكية.

وللجواب على هذا السؤال نقول: إن هذا وصف بحسب أكثر الآيات التي تغلب على السورة، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله- منتقدًا ما قاله النحاس رحمه الله- من أن سورة النساء مكية بدعوى أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨] نزل في مكة، قال: فلا يلزم من نزول آية أو آيات من سورة طويلة بمكة إذا نزل معظمها بالمدينة أن تكون مكية، بل الأرجح أن جميع ما نزل بعد الهجرة معدود من المدني. وقد وضع أهل العلم اصطلاحات ثلاثة للتعريف بهذين المصطلحين، وهذه الاصطلاحات الثلاثة مبنية باعتبارات مختلفة، ففي الوقت الذي جعله بعضهم باعتبار الزمان، اعتبره آخرون بحسب المكان، وهكذا قال فريق ثالث: إنه باعتبار المخاطب.

للعلماء ثلاثة اصطلاحات في تعريف كل من المكي والمدني:

أحدها: اتخذ المكان أساسًا له:

فقال: إن المكي هو كل ما نزل بمكة أو بأحد ضواحيها كمنى وعرفات والحديبية، حتى لو كان ذلك بعد الهجرة، فالاعتبار على هذا الاصطلاح للمكان وحده.

الثاني: اتخذ الخطاب والمخاطبين به أساسًا فقال: إن المكي ما كان خطابًا لأهل مكة، والمدني ما كان خطابًا لأهل المدينة، وعليه حمل قول من قال: كل خطاب بلفظ «يا أيها الناس» فالمقصود به أهل مكة لغلبة الكفر عليهم وكل خطاب بلفظ: «يا أيها الذين آمنوا» فالمقصود به أهل المدينة لغلبة الإيمان عليهم، فالاعتبار على هذا للموضوع وحده.

الثالث: اتخذ الزمان أساسًا له: فقال: إن المكي هو كل ما نزل قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة حتى ولو كان شيء منه نزل خارج مكة لأن تلك الفترة هي العصر المكي من حياة النبي ﷺ وحياة دعوته، وإن المدني هو كل ما نزل بعد هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة حتى ولو كان نزوله خارجها بل حتى ولو كان نزوله بمكة ذاتها كالذي نزل بعرفة في حجة الوداع، وذلك لأن ما بعد الهجرة هو العصر المدني من حياته ﷺ وحياة دعوته، والاعتبار على هذا للزمان وحده، وهذا الاصطلاح الثالث هو المشهور والأصح في هذا الموضوع لأنه أكثر وضوحًا وأقوى حجة وأبسط تعليلاً وأقرب إلى العقول قبولاً وهو أرجحها، وبناءً على ذلك فإن كل ما نزل من القرآن قبل هجرته ﷺ إلى المدينة يسمى مكيًا سواء نزل في مكة أو في الطائف أو في أي جهة أخرى، وكل ما نزل بعد الهجرة فهو مدني، سواء نزل بالمدينة أو في الأسفار والغزوات أو في مكة في عام الفتح.

الأسباب التي أدت إلى اختيار هذا الاصطلاح

أولاً: أن هذا الاصطلاح ضابط وحاصر ومطرد(كامل مُتَمَّمْ)، إذ تنعدم على القول به الواسطة(وهو وجود قسم ثالث لا يوصف بأنه مكي أو مدني)، ولا يرد عليه ما ينقضه، فلذا كان الراجح المقبول الذي اعتمده العلماء واشتهر بينهم، وعليه فآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] مدنية مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع ومعروف أن عرفة من ضواحي مكة.

وكذلك آية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، فإنها مدنية مع أنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم. وقل مثل ذلك فيما نزل بأسفاره عليه الصلاة والسلام كفاتحة سورة الأنفال وقد نزلت ببدر، فإنها مدنية لا مكية على هذا الاصطلاح المشهور.

ثانيًا: يبدو لمن تأمل في هذا الاصطلاح أنه الذي كان يقصده الصحابة من قولهم: نزل كذا من السور بمكة، ونزل كذا من السور بالمدينة.

ومما يؤيد ذلك أنهم قد عدوا من المدني سورة التوبة وسورة الفتح وسورة المنافقون، ولم تنزل سورة التوبة كلها بالمدينة، فقد نزل كثير من آياتها على رسول الله ﷺ وهو في طريق عودته من تبوك، ونزلت سورة الفتح على النبي ﷺ وهو عائد من صلح الحديبية ونزلت سورة المنافقون عليه وهو في غزوة بني

المصطلق.

ثالثًا: أن الاعتماد على هذا الاصطلاح يقضي على معظم الخلافات التي أثيرت حول تحديد المكي والمدني.

رابعًا: أن هذا الاصطلاح هو الذي درج عليه كثير من الباحثين في علوم القرآن قديمًا وحديثًا.

قال ابن عطية رحمه الله: وكل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي ﷺ فهو مدني سواء ما نزل بالمدينة أو في سفر من الأسفار، أو بمكة، وإنما يوسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة.

وقال أيضًا: وما نزل بعد الهجرة فإنما هو مدني وإن نزل في مكة، أو في سفر من أسفار النبي ﷺ.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: فالمكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أي البلاد كان، حتى ولو كان بمكة أو عرفة.

وقال العلامة البقاعي: «وكلُّ ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وكل ما نزل بعدها فهو مدني، ولو كان النبي ﷺ وقت نزوله في بلد آخر».

وقال أيضًا: فإن العبرة بالمدني بالنزول بعد الهجرة.

هذا وقد ذكر الزركشي والسيوطي رحمهما الله أن هذا القول هو أشهر الأقوال.

الطريق الموصلة إلى معرفة المكي والمدني

لا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك، لأنه لم يرد عن النبي ﷺ بيانٌ للمكي والمدني، وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان، كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل، ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عيانًا «وليس بعد العِيان بيان».

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره، ما نزلت سورةٌ من كتاب الله إلا وأنا أعلمُ أين نزلت ولا نزلت آيةٌ من كتاب الله إلا وأنا أعلمُ فيما نزلت ولو أعلم أن أحدًا أعلمُ مني بكتاب الله تبلُغُهُ الإبل لَرَكبتُ إليه».

وقال أيوب: سأل رجلٌ عكرمة عن آية من القرآن، فقال: «نزلت في سفح ذلك الجبل» وأشار إلى سَلع.

قال القاضي أبو بكر في الانتصار، ولم يَرِد عن النبي ﷺ في ذلك قول، لأنه لم يأمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفةُ تاريخ الناسخ والمنسوخ، فقد يُعرف ذلك بغير نص الرسول.

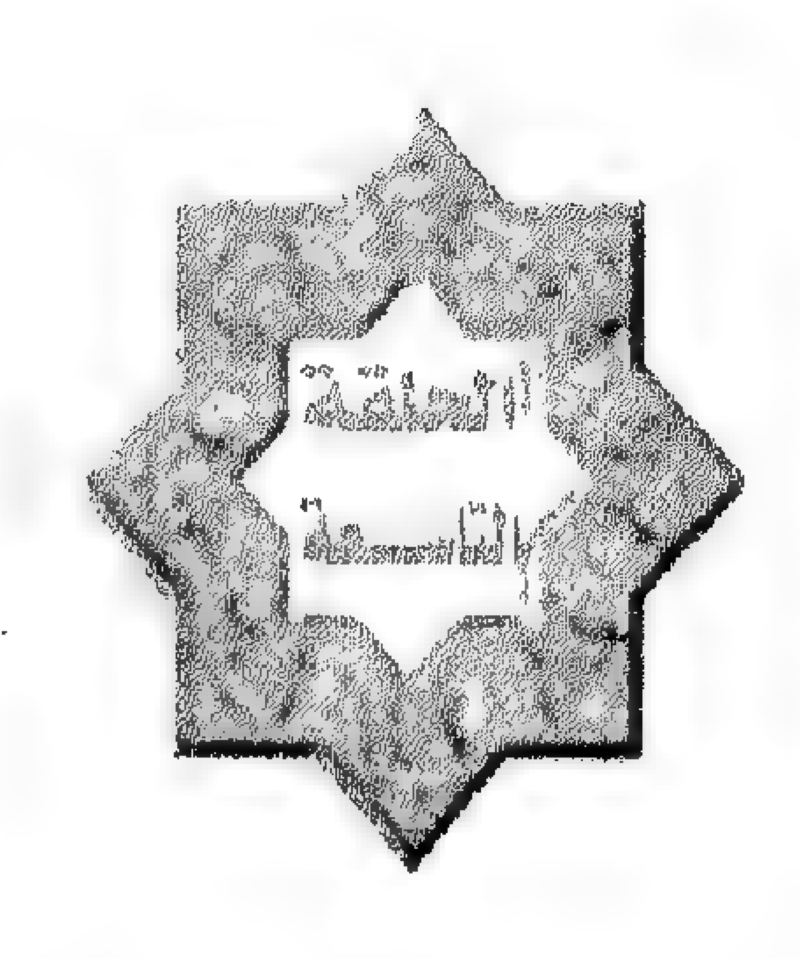
ورغم هذا الكلام المقبول من القاضي أبي بكر في عدم تعيين المكي والمدني عن طريق التوقيف، وعدم لزوم معرفته دينًا، يسوق الزركشي كلامًا في لزوم معرفته، فيقول: قال أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري في كتاب «التنبيه على فضل علوم القرآن»: من أشرف علوم القرآن نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً ووسطًا وانتهاء، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك، ثم ما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة ثم يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، ثم ما نزل بالجحفة وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، ثم ما نزل ليلاً، وما نزل نهارًا، وما نزل مشيعًا، وما نزل مفردًا، ثم الآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكية في السور المدنية، ثم ما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، ثم ما نزل مجملاً وما نزل مفسرًا، وما نزل مرموزًا ثم اختلفوا فيه، فقال بعضهم: مدني، وقال بعضهم مكي. هذه خمسة وعشرون وجهًا، من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى. اهـ.

ومن الواضح أن العلم بالمكي والمدني وإن لم يكن منصوصًا عليه توقيفًا، ولا مطلوبًا تحصيله بنص فإنه من بين علوم القرآن اللازمة لبيانه وتفسيره والوقوف على مقاصده.

وللحديث بقية إن شاء الله.







الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله وبعد.

عرضنا فيما سبق للأسباب التي أدت إلى الابتداع في دين الله رب العالمين، وذكرنا من ذلك اتباع الهوى والاستدلال ببعض النصوص دون النظر إلى غيرها في الموضوع الواحد، ثم ذكرنا سببًا ثالثًا للابتداع وهو الجهل بعلوم الشريعة، وعددنا من فروعه الكثيرة المتنوعة: الجهل بالسنة النبوية والاعتماد على المرويات الواهية والجهل بأساليب اللغة العربية، والجهل بمقاصد الشريعة.

وفي هذه الحلقة- إن شاء الله تعالى- نُكمل ما بدأناه حول أسباب الابتداع، فنقول مستعينين بالله:

إن من أسباب الابتداع كذلك.

رابعاً: تقديم آراء الأئمة والشيوخ والأكابر علي النصوص الثابتة

إن تقديم آراء الآباء والشيوخ والأكابر علي النصوص الصحيحة من أخطر أسباب الابتداع، يقول الله تعالي: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة:١٠٤] قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: أي: إذا دعوا إلي دين الله وشرعه وما أوجبه، وترك ما حرمه قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرق والمسالك، قال الله تعالي: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة:١٠٤] أي: لا يفهمون حقاً، ولا يعرفونه، ولا يهتدون إليه، فكيف يتبعونهم والحالة هذه؟! لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلاً.

وقال عز وجل: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٦-٦٨].

قال الشوكاني: والمراد بالسادة والكبراء هم الرؤساء والقادة الذين كانوا يمتثلون أمرهم في الدنيا ويقتدون بهم. وفي هذا زجر عن التقليد شديد، وكم في الكتاب العزيز من التنبيه علي هذا والتحذير منه والتنفير عنه، ولكن لمن يفهم معني كلام الله ويقتدي به وينصف من نفسه، لا لمن هو من جنس الأنعام في سوء الفهم ومزيد البلادة وشدة التعصب.

صور من انحراف الفرق الضالة

انحرف في هذا الباب طوائف عديدة، من أبرزها:

١- **الرافضة الإمامية:** الذين زعموا لأئمتهم العصمة المطلقة كعصمة النبي ﷺ ولهذا فهم لا يعتمدون علي القرآن ولا علي الحديث ولا علي الإجماع، إلا لكون المعصوم منهم، ولا علي القياس وإن كان واضحاً جلياً ..

وصاروا لذلك لا ينظرون في دليل ولا تعليل [منهاج السنة (٦/٣٨١)].

ومن غلو الرافضة في الأئمة أنهم حولوا حبهم لهم إلي شرك وعبادة لغير الله تعالي، قال ابن تيمية .. وكذلك الرافضة غلوا في الرسل، بل في الأئمة،حتي اتخذوهم أرباباً من دون الله، فتركوا عبادة الله وحده لا شريك له التي أمرهم بها الرسل ، وكذبوا الرسول فيما أخبر به من توبة الأنبياء واستغفارهم؛ فتجدهم يعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فلا يصلون فيها جماعة، وليس لها عندهم كبير حرمة وأن صلوا فيها صلوا وحدانا ويعظمون المشاهد المبنية علي القبور فيعكفون عليها مشابهة للمشركين ويحجون إليها كما يحج الحاج إلي البيت العتيق ومنهم من يجعل الحج إليها أعظم من الحج إلي الكعبة بل يسبون من لا يستغني بالحج إليها عن الحج الذي فرضه الله على عباده، ومن لا يستغني بها عن الجمعة والجماعة، وهذا من جنس دين النصاري والمشركين الذين يفضلون عبادة الأوثان علي عبادة الرحمن، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال «لعن الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا.

[اخرجه البخاري مسلم]

وقد صنف شيخهم ابن النعمان، – وهو شيخ الموسوي والطوسي – كتاباً سماه " مناسك المشاهد " جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قياماً للناس، وهو أول بيت وضع للناس فلا يُطاف إلا به، ولا يُصلي إلا إليه ولم يأمر الله إلا بحجة، وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يأمر بما ذكروه من أمر المشاهد، ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين بل هذا من دين المشركين.

[منهاج السنة ١/٤٧٤– ٤٧٦]

٢-الصوفية الباطنية: الذين عظموا الأولياء والأقطاب، وسلموا لهم بكل ما يقولون، بل زعم بعضهم أن الأولياء أفضل من الرسل، وقال قائلهم:

مقام النبوة في برزخ
فويق الرسول ودون الولي

[الفتاوي (٢/٢١٩ - ٢٢٢)]

وبعض الباطنية يدعون أنهم أعلم بالله من المرسلين، وأن الرسل إنما تستفيد معرفة الله من مشكاتهم، ويفسرون القرآن بما يوافق باطنهم الباطل.

صور من تأويلاتهم الفاسدة

كقولهم فى تفسير قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ فهي أي - الخطيئات - التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله.

وقولهم: أن العذاب مشتق من العذوبة، ويقولون إن كلام نوح في حق قومه ثناء عليهم بلسان الذم، ويفسرون قوله تعالي: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ بعلم الظاهر، بل ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فلا يعلمون غيره ﴿ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾، فلا يسمعون من غيره ولا يرون غيره. ويقولون في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ إن معناه قدّر ذلك، لأنه ليس ثم موجود سواه، فلا يتصور أن يُعبد غَيُره، فكل من عبد الأصنام والعجل ما عبد غَيرَه، لأنه ما ثم غَيرُه.

وأمثال هذه التأويلات

إعداد
معاوية محمد هيكل

فهم دلائل الكتاب والسنة إنما يؤخذ عن سلف الأمة لأنهم أعلم الناس بمراد الله ومراد رسوله ﷺ وخلاف ذلك ضلال وانحراف

كلما ابتعد المرء عن منهج الصحابة فهما وعلما وعملا كلما ازداد انحرافه وكثر جهله وضلاله

إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق

ليس لأحدٍ أن ينصّبَ للأمة شخصًا يدعو إلى طريقته، يوالي عليها ويعادي غير كلام الله ورسوله ﷺ وما اجتمعت عليه الأمة

والتفسيرات التي يعلم كل مؤمن وكل يهودي ونصراني علماً ضرورياً أنها مخالفة لما جاءت به الرسل كموسى وعيسى ومحمد ﷺ. [الفتاوى ١٣/٢٣٩]

٣- الفلاسفة الباطنية: الذين عظموا فلاسفة اليونان كأرسطو وأمثاله، وقلدوهم في منطقهم، وعارضوا الكتاب والسنة بأقوالهم، والعجيب أنهم ينهون العامة عن تقليد الرسل، ومع ذلك فهم يقلدون رؤوسهم. [الفتاوى(٥/٢٨٩)]

٤- جهلة مقلدة الأئمة الأربعة: الذين عظموا الأئمة المتبوعين، وجعلوا أقوالهم هي المعيار في القبول والرد، وقدموها علي الكتاب والسنة، حيث قال الكرخي: كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة.

[الرسالة في أصول الحنفية (ص:١٦٩، ١٧٠)]

السلفيون يحذرون من التقليد الأعمى

وقد وردت آثار كثيرة عن السلف تحذر من ذلك، منها:

قول ابن عباس – رضي الله عنهما – لعروة بن الزبير حين قال في مسالة أما أبو بكر وعمر فلم يفعلا؛ قال: والله ما أراكم منتهين حتي يعذبكم الله، نحدثكم عن النبي ﷺ وتحدثونا عن أبي بكر وعمر؟!

[جامع بيان العلم وفضله ٢/١٢٠٩ – ١٢١٠]

وقول ابن مسعود رضي الله عنه: ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً، إن آمن آمن وإن كفر كفر، فإن كنتم لا بد مقتدين فبالميت، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة. [اللالكائي: ١/٩٠٣]، وفي رواية عنه: لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً، إن آمن آمن وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر.

[إعلام الموقعين ٢/١٣٥]

وقال عمر بن عبد العزيز: لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ. قال الشافعي: أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس. وصح عنه أنه قال: لا قول لأحد مع سنة رسول الله ﷺ.

وقال ابن خزيمة: لا قول لأحد مع رسول الله ﷺ إذا صح الخبر عنه. [إعلام الموقعين ٢/٢٠١]

ولا بن تيمية - رحمه الله - كلام نفيس حول ذلك، إذ يقول: فدين الله مبني علي اتباع كتاب الله، وسنة نبيه، وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي المعصومة، وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلي الله والرسول، وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلي طريقته، يوالي عليها ويعادي، غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة، يوالون به علي ذلك الكلام أو تلك السنة ويعادون. [الفتاوي ٢٠/١٦٤]

وقال أيضاً: من أوجب طاعة أحد غير رسول الله ﷺ في كل ما يأمر به، وأوجب تصديقه في كل ما يخبر به، وأثبت عصمته، أو حفظه في كل ما يأمر به ويخبر من الدين؛ فقد جعل فيه من المكافأة لرسول الله ﷺ والمضاهاة له في خصائص الرسالة بحسب ذلك، سواء جعل ذلك المضاهي لرسول الله ﷺ بعض الصحابة، أو بعض القرابة، أو بعض الأئمة والمشائخ، أو الأمراء وغيرهم.

[جامع الرسائل ٨/٢٧٣]

خامساً: الإعراض عن منهج السلف والطعن في الصحابة

إن فهم دلائل الكتاب والسنة إنما يؤخذ عن السلف، فهم أعلم الناس بمراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ، وكل علم من علوم الشرع يؤخذ من غير طريقهم، أو بخلاف منهجهم فهو ضلال وانحراف، وصدق عمران بن حصين رضي الله عنه إذ يقول: يا قوم، خذوا عنا، فإنكم والله إلا تفعلوا لتضلُّنَّ. [الكفاية في علم الرواية: ص١٥]

وأكثر المبتدعة انحرفوا في شأن الصحابة انحرافًا واضحًا، ولم يعتمدوا منهجهم، ولم يسيروا سيرتهم، ومنهم من قدح فيهم وكذَّبهم وافترى عليهم، ومنهم من كفَّرهم واتهمهم بالنفاق. عياذًا بالله!!

وأول من وقع في هذا الانحراف هم الخوارج والرافضة، ثم تبعهم المعتزلة والجهمية، وسائر المبتدعة، ولهذا قال أبو حاتم الرازي: علامة أهل

البدع الوقيعة في أهل الأثر.

[شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ١/١٧٩]

وقال الأوزاعي: ما ابتدع رجل إلا غلَّ صدره على المسلمين. [تاريخ الإسلام: ١٤١- ١٦٠]

ومن أمثلة جرأة المبتدعة ووقوعهم في الصحابة:

قال عمرو بن عبيد: لو شهد عندي علي وطلحة والزبير وعثمان، على شراك نعل ما أجزتُ شهادتهم.!!

ولمَّا قال له يحيى: كيف حديث الحسن عن سمرة في السكتتين؟ فقال: ما تصنع بسمرة؟ قبَّح الله سَمُرة. وقال الشاطبي بعدها: بل قبح الله عمرو بن عبيد. [الاعتصام ١/١١٩]

وتتبُّع مخازي المبتدعة في هذا الباب أمر يطول ذكره، وأشدهم غلوًا فيه الرافضة، قال ابن تيمية: ثم إن الرافضة – أو أكثرهم – لفرط جهلهم وضلالهم يقولون: إنهم – يعني: أبا بكر وعمر– ومن اتبعهم كانوا كفارًا مرتدين، وإن اليهود والنصارى خير منهم؛ لأن الكافر الأصلي خير من المرتد وقد رأيت هذا في عدة من كتبهم، وهذا القول من أعظم الأقوال افتراءً على أولياء الله المتقين، وحزب الله المفلحين، وجند الله الغالبين.

[منهاج السنة النبوية: ٧/٤٧٥]

وقد بيَّن السلف الصالح أن حقيقة الطعن في الصحابة هي: الطعن في الدين، ولهذا قال الإمام أحمد: إذا رأيت رجلاً يذكر أحدًا من الصحابة بسوء؛ فاتهمه على الإسلام.

[البداية والنهاية: ٨/١٣٩]

وقال أبو زرعة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة.

[الكفاية في علم الرواية: ص٩٧]

وقال ابن تيمية: أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين تصديقًا وعلمًا، وعملاً وتبليغًا، فالطعن فيهم طعن في الدين، موجب للإعراض عما بعث الله به النبيين، وهذا كان مقصود أول من أظهر بدعة التشيع، فإنما كان قصده الصد عن سبيل الله، وإبطال ما جاءت به الرسل عن الله. [منهاج السنة النبوية: ١/١٨]

وهجر منهج الصحابة رضي الله عنهم، وعدم الاهتداء بهديهم، أدى إلى تخبط المبتدعة تخبطًا شديدًا، وكلما ابتعد المرء عن منهج الصحابة علمًا وعملاً ازداد انحرافه وجهله، وكثر ضلاله وبعده عن منهاج النبوة. ألم ترَ إلى الخوارج حينما ضلوا وحاربوا المسلمين، ذهب إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وناظرهم، وردَّ على شبهاتهم، رجع معه أكثر القوم وعصمهم الله من الفتنة، ومن أعرض عنه ولم يسمع مشورته ضل وانتكس- والعياذ بالله. [انظر منهج التلقي والاستدلال/ للصويان]

فالخير كل الخير إنما هو في تتبع آثارهم والاقتداء بسننهم.

والإعراض عن منهج الصحابة رضي الله عنهم والسلف والصالح، يؤدي بلا شك إلى التخبط في فهم النصوص، وهجر مقاصدها ودلائلها، قال ابن تيمية في الفتاوى ٧/١١٩: وقد عدلت المرجئة عن هذا الأصل في بيان الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، واعتمدوا على رأيهم، وعلى ما تأولوه بفهمهم من اللغة، وهذه طريقة أهل البدع، ولهذا كان الإمام أحمد يقول: أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس.

ولهذا تجد المعتزلة والرافضة وغيرهم من أهل البدع، يفسرون القرآن برأيهم، ومعقولهم، وما تأولوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف، وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم، وهذه طريقة الملاحدة أيضًا، إنما يأخذون من كتب الفلسفة، وكتب الأدب واللغة، وأما كتب القرآن والحديث والآثار فلا يلتفتون إليها.

والخير كل الخير في اتباع من سلف، والشر كل الشر في ابتداع من خلف.

والحمد لله رب العالمين

الإعلام بسير الأعلام

عالم المدينة في زمانه وتلميذ الفقهاء السبعة

يحيى بن سعيد الأنصاري

إعداد / مجدي عرفات

اسمه ونسبه:

هو أبو سعيد يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو، وقيل: ابن قيس بن فهد الأنصاري الخزرجي النجاري العلامة المجود المدني القاضي وهو صاحب حديث: «الأعمال بالنيات»، وعنه اشتهر.

مولده:

ولد قبل السبعين زمن ابن الزبير.

شيوخه:

سمع من أنس بن مالك والسائب بن يزيد وأبي أمامة بن سهل وسعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وعروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وسليمان بن يسار وخارجة بن زيد وأبي بكر بن عبد الرحمن وأبي سلمة بن عبد الرحمن وعلي بن الحسين وعمرة بنت عبد الرحمن والأعرج وأبي صالح السمان، وخلق سواهم.

تلامذته:

روى عنه الزهري مع أنه من شيوخه وابن أبي ذئب وشعبة ومالك والسفيانان والحمادان والأوزاعي والليث بن سعد وأبو إسحاق الفزاري وابن المبارك وابن عُلية الثقفي ويحيى بن سعيد الأموي ويحيى بن سعيد القطان ويزيد بن هارون والقاضي أبو يوسف وإبراهيم بن سعد الزهري وخلق كثير.

ثناء العلماء عليه:

قال أحمد بن حنبل: يحيى بن سعيد الأنصاري أثبت الناس.

قال حماد بن زيد: قدم أيوب من المدينة فقيل له من أفقه من خلفت بها؟ قال: يحيى بن سعيد الأنصاري.

قال سفيان: أدركت من الحفاظ ثلاثة: إسماعيل بن أبي خالد وعبد الملك بن أبي سليمان ويحيى ابن سعيد الأنصاري.

قال الثوري: كان يحيى بن سعيد الأنصاري أجل عند أهل المدينة من

الزهري.

قال وهيب: قدمت المدينة فلم ألق بها أحدًا إلا وأنت تعرف وتنكر غير يحيى بن سعيد ومالك.

قال جرير: سألت يحيى بن سعيد وما رأيت شيخًا أنبل منه.

قال العجلي: كان يحيى بن سعيد رجلاً صالحًا فقيهًا.

قال يحيى القطان: هو مقدم على الزهري لأن الزهري اختلف عليه ويحيى لم يختلف عليه.

قال النسائي: يحيى بن سعيد ثقة ثبت.

قال الحاكم: هو قاضي حرم رسول الله ﷺ ومفتيها في عصره.

قال الذهبي: الإمام العلامة المجود عالم المدينة في زمانه وشيخ عالم المدينة وتلميذ الفقهاء السبعة.

قال يعقوب بن كاسب: حدثني بعض أهل العلم قال: سمعت صائحًا يصيح في المسجد الحرام أيام مروان: لا يفتي الحاج في المسجد إلا يحيى بن سعيد، وعبيد الله بن عمر ومالك بن أنس.

قال ابن حجر: ثقة ثبت.

من أحواله وأقواله:

قال حماد: كان يحيى بن سعيد يقول في مجلسه: اللهم سلم سلم. وقال: كان عبيد الله بن عدي بن الخيار يقول في مجلسه: اللهم سلمنا وسلم المؤمنين منا.

قال الليث: عن يحيى بن سعيد قال: أهل العلم أهل سعة وما برح المفتون يختلفون فيحلل هذا ويحرم هذا وإن المسألة لترد على أحدهم كالجبل فإذا فتح لها بابًا قال: ما أهون هذه.

قال يحيى: لأن أكون كتبت كل ما أسمع أحب إليّ من أن يكون لي مثل مالي. قلت: لأن الكتابة أضبط وأثبت، وقد قال الله تعالى: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قيدوا العلم بالكتاب». [صحيح. رواه الحاكم والطبراني وغيرهما]. قال الضحاك: إذا سمعت شيئًا فاكتبه ولو في الحائط، وقال معاوية بن قرة: من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالمًا، وقال الخليل بن أحمد: اجعل ما تكتبه بيت مال وما في صدرك للنفقة، وقال إسحاق بن منصور لأحمد بن حنبل: لو لم يكتب العلم لذهب. قال أحمد: نعم، ولولا كتابة العلم أي شيء كنا نحن. اهـ.

قال محمد بن سلام الجمحي: كان يحيى بن سعيد خفيف الحال، فاستقضاه المنصور فلم يتغير حاله، فقيل له في ذلك، فقال: من كانت نفسه واحدة لم يغيره المال.

قال يزيد بن هارون: قلت ليحيى بن سعيد: كم تحفظ؟ قال: ستمائة، سبعمائة.

قال الذهبي: هو صاحب حديث: «الأعمال بالنيات»، وعنه اشتهر، حتى يقال: رواه عنه نحو المائتين.

وفاته:

مات سنة ثلاث وأربعين ومائة، وقيل: سنة أربع وأربعين. رحمه الله.

التفاضل بين الملائكة والبشر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

تعد هذه المسألة من المسائل التي اختلف فيها العلماء، فمنهم من قال بتفضيل الأنبياء وصالحي المؤمنين على الملائكة، ومنهم من فضل الملائكة على صالحي المؤمنين، ومنهم من قال: إن الملائكة أفضل باعتبار البداية وصالحو البشر أفضل باعتبار كمال النهاية. وهذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

بداية نوضح أن الكفار والفجار والمنافقين غير داخلين في المفاضلة، فأولئك كالأنعام بل هم أضل، بل الأنعام أحسن منهم حالاً، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

والدابة كل ما دب على الأرض والسماء من إنس وجن وملك وبهيمة.

وفي ذلك صنف ابن المرزبان رحمه الله «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب».

وفضل البهائم على الكفار والمنافقين من وجوه:

١- أن البهيمة لا سبيل لها إلى كمال وصلاح أكثر مما تصنعه والإنسان له سبيل لذلك.

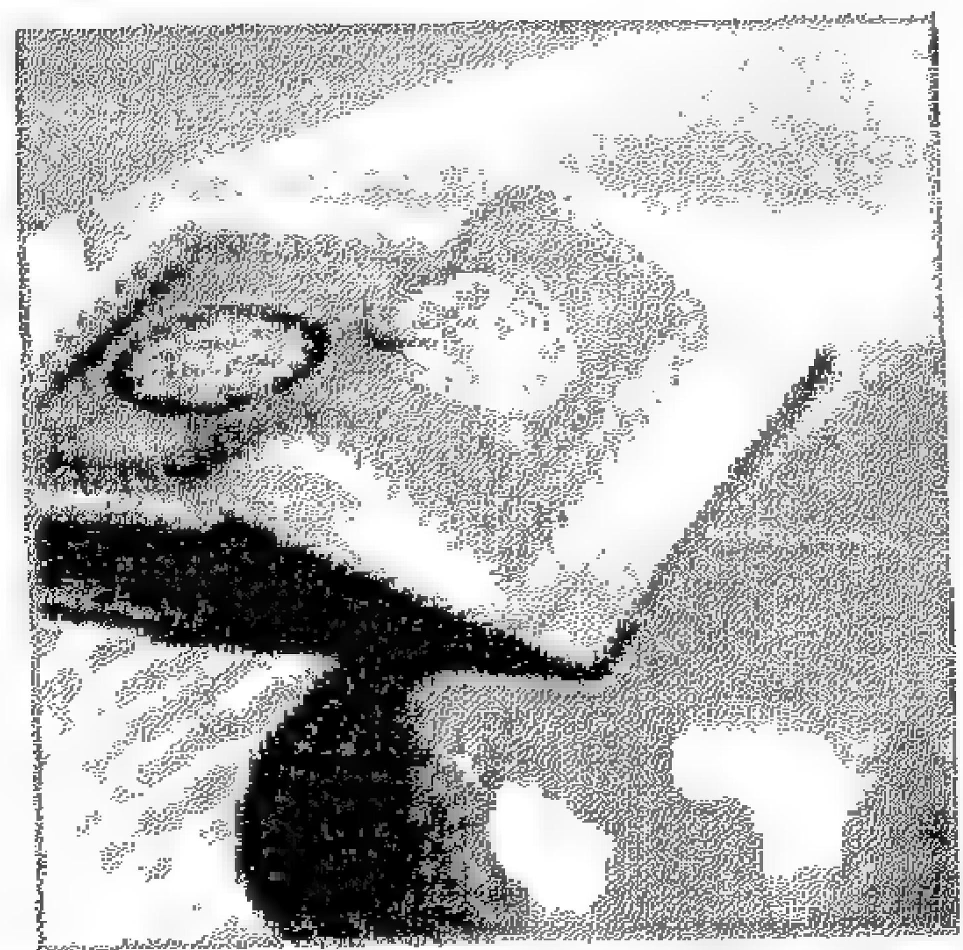
٢- أن البهائم لها أهواء وشهوات ولم تؤت تمييزاً بين ما ينفعها وما يضرها والإنسان أوتي ذلك، فالإنسان له شهوات وعقل والبهائم لها شهوات بلا عقول، فمن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه.

٣- أن البهائم مؤمنة بالله ورسوله ﷺ، مسبحة بحمده، وفي ذلك قال ﷺ: «إنه ليس على وجه الأرض شيء إلا وهو يعلم أني رسول الله إلا فسقة الجن والإنس».

[أخرجه احمد وحسنه الألباني في السلسلة ١٧٣٢]

٤- أن لفسقة الجن والإنس في الآخرة من العذاب والأهوال والأغلال ما أمنت منه البهائم.

ونستعرض آراء العلماء في هذه المسألة، ثم نبين الراجح منها.



أولاً: أدلة الذين فضلوا صالحي البشر على الملائكة

١- أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم، وهذا يبين فضله وتكريمه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ

إعداد/ أسامة سليمان

اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وفرق بين السجود للشيء والسجود إلى الشيء، فالسجود إلى الشيء يعني اتخاذه قبلة، والسجود للشيء على سبيل التعظيم والتكريم له، فآدم لم يكن قبلة كما قالت المعتزلة، وإلا لما امتنع إبليس اللعين عن السجود له.

٢- قول إبليس اللعين لربه عز وجل: أرأيتك هذا الذي كرمت عليَّ فهذا نص في بيان تفضيل آدم عليه السلام.

٣- أن الله خلق آدم بيده وخلق الملائكة بكلمته.

٤- أن الله سبحانه جعل الاستخلاف في الأرض في آدم وذريته، والخلافة درجة عالية ولذلك طلبتها الملائكة، والخليفة يفضل على من ليس بخليفة.

٥- تفضيل بني آدم على الملائكة بالعلم، فحين سأل الله الملائكة عن علم الأسماء فلم يجيبوا، وقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، أنبأهم آدم بأسمائهم.

٦- طاعة البشر أشق من طاعة الملائكة لأن الملائكة جبلت على الطاعة، فمن جبل على الشهوة والرضى والغضب والهوى طاعته أشق ممن فقد ذلك.

٧- مباهاة الله عز وجل بصالح المؤمنين الملائكة. ففي حديث أبي هريرة: «أن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء، فيقول لهم: انظروا إلى عبادي هؤلاء جاؤوني شعثًا غبرًا». رواه ابن حبان في صحيحه.

ثانيا: أدلة الذين فضلوا الملائكة

١- ورد في الحديث: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه». وهذا يبين تفضيل الملائكة لأن لفظ خير منه فصل في المسألة.

٢- أن بني آدم تقع منهم الزلات والهفوات وفيهم النقص والقصور، يقول سبحانه: ﴿قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ...﴾ [الأنعام: ٥٠] ، ووجه الدلالة في الآية أن حال الملك أفضل من حال من ليس بملك، وإن كان نبيًا كما في الآية.

٣- قول إبليس لآدم وحواء: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠] الآية تبين أن حال كونهما ملكين أكمل من كونهما بشرين، والملك أطول حياة من الآدمي فيكون أعظم عبادة من حياة الآدمي.

ثالثا: رأي شيخ الإسلام ابن تيمية

لقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه المسألة نور الله بصيرته، فجمع بين أقوال الفريقين، ووفق بينها، وانتهى إلى القول بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، ذلك أنهم إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى وسكنوا الدرجات العلى وحياهم ربهم وخصهم بمزيد قربه، قامت الملائكة بخدمتهم بإذن الله بقوله جل شانه: ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:



والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة ربهم، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر.

والله من وراء القصد.

بركة المسلم وحديث النخلة

بقلم: عاطف الفاروقي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟» فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله، قال: «هي النخلة».

هذا الحديث حديث عظيم في مبناه ومعناه، وهو يحث المسلم على أن يكون نافعًا في كل أحواله في حياته وبعد مماته، وشبهه بالنخلة لأن النخلة نافعة في كل أحوالها، وهي شجرة مباركة، فكذلك لا بد أن يكون المسلم متصفًا بصفات النخلة، ووجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط ورقها.

روى البخاري في كتاب الأطعمة عن ابن عمر قال: بينا نحن عند النبي ﷺ إذ أتي بجمار- وهو قلب النخلة- فقال: «إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم». وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها، فمنذ أن يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس وبعد أن ييبس ويتخذ منها منافع كثيرة من خشبها وورقها وأغصانها حتى النوى يتخذ في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك، فكذلك المسلم فبركته عامة ونافعة في جميع أحواله من كثرة طاعته ومكارم أخلاقه ومواظبته على صلاته وصيامه وقراءته وذكره والصدقة والصلة وسائر الطاعات، فنفعه مستمر لنفسه ولغيره حتى بعد موته إما بعلم خلفه أو بولد صالح أو بأي عمل صالح يعود على المسلمين من بعده، وقد وقع عند البخاري في كتاب التفسير عن ابن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: أخبروني عن شجرة كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا. كذا ذكر النفي ثلاث مرات، وقد قيل في تفسيره: ولا ينقطع ثمرها، ولا يعدم فيؤها، ولا يبطل نفعها. فكذلك المسلم لا بد أن يكون نافعًا مباركًا أينما وجد بين إخوانه أو جيرانه أو زملائه، في أي مكان وجد فيه فهو نافع، فلا يكون كالكَلِّ الذي يكون عالة وكلفة على سيده لا ينفع أبدًا أينما وجه لا يأتي بخير، فلا ينبغي للمسلم أن يكون كلفة وعالة على مجتمعه بل لا بد أن ينفع مجتمعه بالدعوة إلى الله تارة وبالأخلاق الطيبة تارة وبتعليم الناس الخير، وقد ذكر الله سبحانه في كتابه هذا فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكًا لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ

الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون (٧٥) وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾ [النحل: ٧٥، ٧٦].

قال ابن كثير رحمه الله: قال مجاهد: هذا مثل مضروب للوثن والحق تعالى فهل يستوي هذا وهذا؟

فالوثن لا يقدر بالكلية على شيء فلا مقال ولا فعال، وهو مع هذا «كَلّ» أي عيال وكلفة على مولاه، «أينما يوجهه» أي يبعثه «لا يأتي بخير» ولا ينجح مسعاه «هل يستوي» من هذه صفاته «ومن يامر بالعدل» أي بالقسط فمقاله حق وفعاله مستقيمة وهو على صراط مستقيم. اهـ.

وهذا الحديث فيه فوائد جمة، منها:

- امتحان العالم أذهان الطلبة ليختبر أفهامهم ويشحذ عقولهم لما يخفى عليهم مع بيانه لهم إن لم يفهموه.

- فيه التحريض على الفهم في العلم وهذا ما بوب عليه البخاري «باب الفهم في العلم».

- جواز اللغز مع بيانه وهو دليل على أن النبي ﷺ كان يقصد الألغاز في بعض الأحيان شحذاً لهمم أصحابه وأذهانهم.

- ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام وتصوير المعاني لترسخ في الذهن.

- وفيه إشارة إلى أن المُلْغِز ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال، وأن لا يبالغ في التعمية بحيث لا يجعل للسامع بابًا يدخل منه.

- فيه توقير الصغير للكبير لفعل ابن عمر في وجود أبي بكر وعمر.

-وفيه استحباب الحياء ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة.

- فيه دليل على جواز تجمير النخل وأنه ليس من إضاعة المال، وجواز بيع الجمار لأن كل ما جاز أكله جاز بيعه.

- فيه إشارة إلى أن تشبيه الشيء بالشيء لا يلزم أن يكون نظيره من جميع وجوهه فإن المؤمن لا يماثله شيء من الجمادات ولا النباتات ولا يعادله.

- فيه أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه من هو دونه لأن العلم مواهب والله يؤتي فضله من يشاء.

- فيه حقارة الدنيا في عين عمر لأنه قابل فهم ابنه لمسألة واحدة بحُمْر النعم مع عظم مقدارها وغلاء ثمنها كما في رواية للبخاري في باب «الحياء في العلم» قال عبد الله فحدثت أبي بما وقع في نفسي فقال: «لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا». زاد ابن حبان في صحيحه: أحسبه قال: حمر النعم.

-حرص الصحابة على قُرب أولادهم من رسول الله ﷺ وأن يزدادوا منه حظوة وينالوا منه الدعاء، ولعل عمر كان يرجو أن يدعو النبي ﷺ لابنه بالزيادة في الفهم والفقه، وقد روى البخاري من حديث معاوية بن أبي سفيان قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».

نسأل الله القدير بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



من نور كتاب الله

قال تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥].

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا أنبئكم بدرجة أفضل من الصلاة والصيام والصدقة؟» قالوا: بلى. قال ﷺ: «صلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة». [صحيح الأدب المفرد: حديث ٣٩١].

من حكمة الشعر

قال عمرو بن معديكرب الصحابي في الحلم والبذل والعطاء:

ويَبْقَى بعد حلمِ القومِ حِلْمِي
وَيَفْنَى قَبْلَ زَادِ القومِ زَادِي

حكم ومواعظ

قال مطرف بن طريف: ما أحب أن كذبت وأن لي الدنيا وما فيها. [مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا].

عن عمر بن ذر أنه كان يقول في مواعظه: «لو علم أهل العافية ما تضمنته القبور من الأجساد البالية لجدوا واجتهدوا في أيامهم الخالية خوفًا من يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار». [أهوال القبور ص١٤٤].

قال أبو جعفر بن صهبان: «كان يقال: أول المودة طلاقة الوجه، والثانية التودد، والثالثة قضاء حوائج الناس».

من مناقب الصحابة

عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ والله إني لأحبك، والله إني لأحبك، قال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك». [الصحيح المسند من فضائل الصحابة: ٣٤١].

من هدي النبي ﷺ في خطبته

كانت خطبته ﷺ، إنما هي تقرير لأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وذكر الجنة والنار، فيملأ القلوب من خطبته إيمانًا وتوحيدًا ومعرفة بالله وأيامه.

لا كخطب غيره التي إنما تفيد أمورًا مشتركة بين الخلائق وهي النوح على الحياة والتخويف من الموت فإن هذا أمر لا يحصّل في القلب إيمانًا بالله ولا توحيدًا له. [زاد المعاد ٤٢٣/١].

من أمثال العرب

قولهم: مَن سبك، قال: من بلغك.
يريد أن الذي واجهك بالقبيح هو الذي سبك ومنه قول الشاعر:

مَنْ يُخْبِرك بشتمٍ عن أخٍ
فهو الشَّاتم لاَ مَنْ شَتَمَكَ

من معاني الكلمات

«فسق»: أصل الفسق هو خروج الرطبة عن قشرتها، فالتمرة عندما تترطب تنكمش داخل قشرتها وتخرج منها فيقال: فسقت الرطبة، أي خرجت عن قشرتها، وكذلك من يخرج عن شرع الله يسمى فاسقًا كأن شرع الله سياج يحيط بالإنسان يحفظه ويحميه كما تحمي القشرة ثمرتها مما

تحميها وتنسدها
مد بمحيطة بها.

التمسك بالسنة

عن حرملة قال: سمعت الشافعي يقول: «إذا وجدتم سنة لرسول الله ﷺ، فاتبعوها، ولا تلتفتوا إلى أحد». [ذم الكلام ٢/٣٠١].

عن محمد بن الفضل بن سلمة قال: «قلّما جلسنا إلى فضيل إلا أتانا بهاتين الكلمتين: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، ولا يقبله إلا على السنة ». [ذم الكلام ٢/٣٩٩].

عن زيد بن أرقم قال: «من تمسك بالسنة وثبت نجا، من فرط مرق، من خالف هلك». [ذم الكلام ٢/٤٠٧].

اعرف عدوك

ومن كيد الشيطان للإنسان: أنه يورده الموارد التي يخيل إليه أن فيها منفعته ثم يصدره المصادر التي فيها عطبه ويتخلى عنه ويسلمه ويقف يشمت به ويضحك منه، فالشيطان يأمر الإنسان بالسرقة والزنى والقتل ثم يدل عليه ويفضحه. [إغاثة اللهفان: ٨٧].

من المبتدعات

ومن البدع تزويق المساجد واتخاذ المحاريب وزخرفتها، ولم يكن شيئًا من ذلك في العهد الأول، وأمر عمر رضي الله عنه ببناء مسجد وقال للبناء: أكِنَّ الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر، وأول من ابتدع زخرفة المساجد الوليد بن عبد الملك وكذلك اتخاذ المحاريب إنما ابتدع آخر المائة الأولى. [الإبداع في مضار الابتداع ص١٨٣].

توحيد الإلهية

توحيد الإلهية هو إفراد الله بالعبادة قولاً وقصداً وفعلاً، فلا ينذر إلا له ولا تقرب القرابين إلا إليه، ولا يُدعى في السراء والضراء إلا إياه، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه.

وهذا النوع هو الذي من أجله بعثت به الرسل وأنزلت به الكتب وبدأ به كل رسول دعوته، ووقعت فيه الخصومة بينه وبين قومه. [فتاوى ورسائل الشيخ عبد الرزاق عفيفي ص١٩٧].

من وصايا السلف

قال ابن السماك: من امتطى الصبر قوي على العبادة، ومن أجمع اليأس استغنى عن الناس، ومن أحب الخير وفق له، ومن كره الشر جُنِّبه. [الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا ص١٠٧].

الأخوة في الله!

قال أبو حمزة الشيباني لمن سأله عن الإخوان في الله من هم؟ قال: «هم العاملون بطاعة الله عز وجل المتعاونون على أمر الله وإن تفرقت دورهم وأبدانهم». [الإخوان ص١٢٦].

من درر العلماء في آيات الصفات

قال الإمام ابن خزيمة في إثبات صفة الوجه لله عز وجل:

فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر، مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر ذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين. [كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/٢٦].

ماذا يحب الله

يحب الله صلة الأرحام

قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله، ثم صلة الرحم». [صحيح الجامع: ١٦٦]

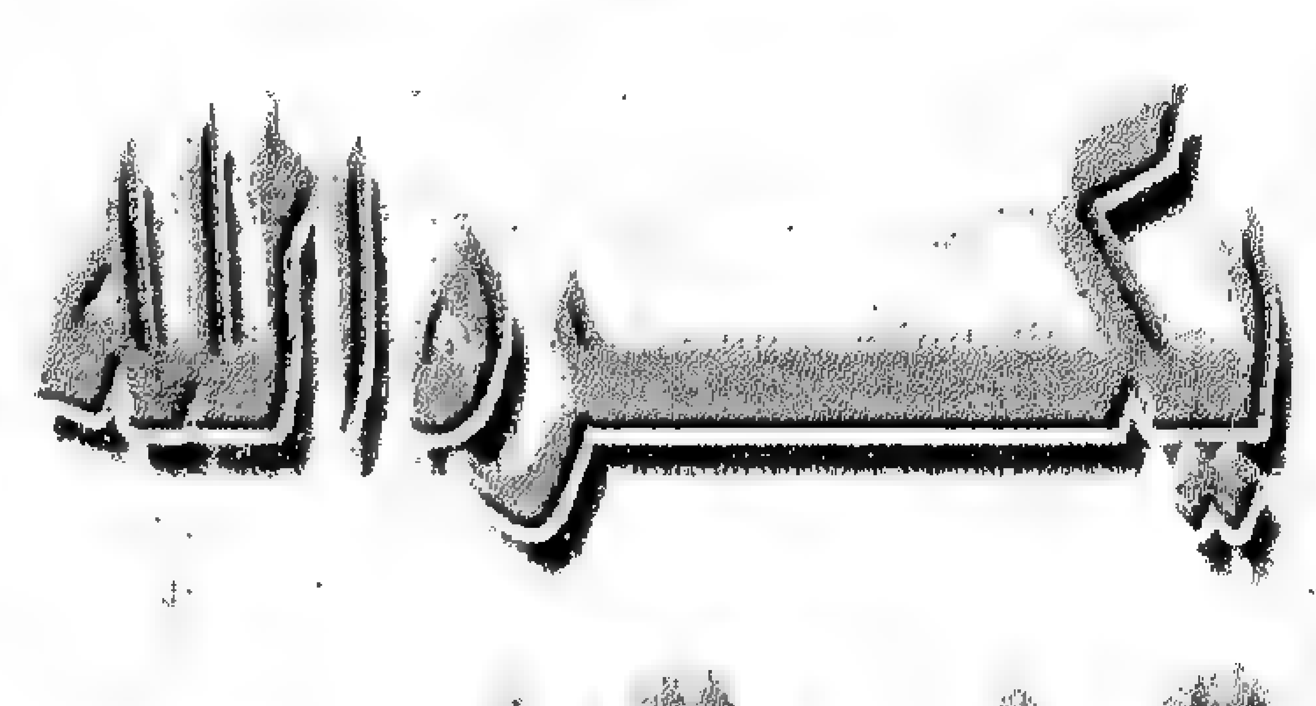
وقال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك». قال رسول الله ﷺ: «فاقرأوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾» [محمد: ٢٢]. [البخاري- كتاب الأدب- باب من وصل وصله الله].

قال العلماء: وحقيقة الصلة العطف، وعطفه بإحسانه ونعمه أو صلتهم بأهل ملكوته الأعلى وشرح صدورهم لمعرفته وطاعته، وقال ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه». [البخاري- كتاب الأدب- باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم].

قال القرطبي: الرحم على وجهين: عامة، وخاصة، فالعامة رحم الدين، ويجب مواصلتها بملازمة الإيمان والمحبة لأهله ونصرتهم، والنصيحة وترك مضارتهم والعدل بينهم، والنَّصفة في معاملتهم والقيام بحقوقهم الواجبة، كتمريض المرضى وحقوق الموتى من غسلهم والصلاة عليهم ودفنهم، وغير ذلك من الحقوق المترتبة لهم. وأما الرحم الخاصة وهي رحم القرابة من طرفي الرجل أبيه وأمه فتجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة، كالنفقة وتفقد أحوالهم، وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم، وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة، حتى إذا تزاحمت الحقوق بدئ بالأقرب فالأقرب.

وقال ابن أبي جمرة: تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء، والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفارًا أو فجارًا فمقاطعتهم في الله هي صلتهم، بشرط بذل الجهد في وعظهم، ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى.

ومما يكره الله



قال رسول الله ﷺ: «أبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله، ثم قطيعة الرحم». [صحيح الجامع: ١٦٦].

الرحم، يطلق على الأقارب وهم من بينه وبين الآخر نسب، سواء كان يرثه أم لا، سواء كان محرمًا أم لا، وقيل: هم المحارم فقط، والأول هو المرجح لأن الثاني يستلزم خروج أولاد الأعمام وأولاد الأخوال من ذوي الأرحام وليس كذلك.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك. قال رسول الله ﷺ: فاقرأوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]. [سبق تخريجه]

لقد خلق الله الرحم وشق لها اسمًا من اسمه، فهو الرحمن وهي الرحم، وأمر تعالى بوصل الرحم ونهى عن قطعها، فقطيعة الرحم من أبغض الأعمال إليه بعد الإشراك به.

وكما وعد الله تعالى من يصل الرحم بالخير الكثير في الدنيا والآخرة كما أخبر النبي ﷺ: «من سرَّه أن يُبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره فليَصل رحمه». [البخاري- كتاب الأدب- باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم] فقد توعد تعالى قاطع الرحم بأن لا يدخله الجنة جزاءً وفاقًا على قطعه ما أمر الله به أن يوصل، قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع». [أخرجه البخاري- كتاب الأدب- باب إثم القاطع]. يعني: قاطع الرحم. قال النووي: هذا الحديث يتأول تأويلين أحدهما: حمله على من يستحل القطيعة بلا سبب ولا شبهة مع علمه بتحريمها فهذا كافر يخلد في النار ولا يدخل الجنة أبدًا. والثاني: معناه ولا يدخلها في أول الأمر مع السابقين بل يعاقب بتأخره القدر الذي يريده الله تعالى. [شرح صحيح مسلم للنووي: ١٦/١١٣- ١١٤].

بل قال النبي ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدّخر له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم». [صحيح سنن أبي داود ٤٠٩٨].

إعلام المسلمين بحكم اللعن واللعانين

إعداد: أحمد إبراهيم *

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين وبعد:

معنى اللعن:

إذا كان من الله فهو الطرد والإبعاد من رحمته، وإذا كان من الخلق فهو السب والدعاء.

النهي عن اللعن:

١- عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار». [«السلسلة الصحيحة» ٨٩٠]

٢- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذئ». [رواه الترمذي وقال: حديث حسن]

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا». [رواه مسلم]

٤ ـ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا لعن شيئًا، صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها ثم تأخذ يمينًا وشمالاً، فإذا لم تجد مَسَاغا (مدخلاً وطريقًا) رجعت إلى الذي لُعِن، فإن كان أهلاً لذلك وإلا رجعت إلى قائلها».

[حسن، صحيح الجامع: ١٦٦٨]

٥ ـ ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن المؤمن كقتله». متفق عليه. قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: جاء في الحديث الصحيح: «لعن المؤمن كقتله» لأن القاتل يقطعه عن منافع الدنيا وهذا يقطعه عن نعيم الآخرة ورحمة الله تعالى، وقيل معنى لعن المؤمن كقتله في الإثم وهذا أظهر. اهـ.

٦ ـ حتى الدواب نهى الشرع عن لعنها: عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة، فضجرت (أي من علاج الناقة وصعوبتها) فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة». قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد. رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله: إنما قال هذا ﷺ زجرًا لها ولغيرها، وكان قد سبق نهيها ونهي غيرها عن اللعن فعوقبت بإرسال الناقة، والمراد النهي عن مصاحبته لتلك الناقة في الطريق، وأما بيعها وذبحها وركوبها في غير مصاحبته ﷺ، وغير ذلك من التصرفات التي كانت جائزة قبل هذا- أي قبل اللعن- فهي باقية على الجواز لأن الشرع إنما ورد بالنهي عن المصاحبة فبقي الباقي، كما كان. اهـ.

جواز لعن بعض أصحاب المعاصي غير المعينين

قال تعالى: ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، وقال: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

كما ثبت أن رسول الله ﷺ لعن أصحاب المعاصي غير المعينين بذواتهم، فقال ﷺ: «لعن الله الواصلة والمستوصلة». أخرجه مسلم، وقال: «لعن الله آكل الربا» [رواه البخاري]. وقال: «لعن الله من غير منار الأرض»- أي حدودها- رواه مسلم. وقال: «لعن الله السارق يسرق البيضة» رواه البخاري. وقال: «لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال». رواه

البخاري. وثبت أنه لعن المصورين. رواه البخاري.

ومن ثم فيجوز للمسلم أن يلعن أصحاب المعاصي غير المعينين بذواتهم فيقول: ألا لعنة الله على الكاذبين، أو السارقين، أو المتبرجات. إلخ.

اختلاف العلماء في لعن المعين

اختلف العلماء في لعن المعين، فقال النووي رحمه الله: وأما لعن الإنسان بعينه- أي إنسان معين بذاته- ممن اتصف بشيء من المعاصي كيهودي أو نصراني أو ظالم أو زانٍ أو مصور أو سارق أو آكل ربا فظاهر الأحاديث أنه ليس بحرام، وأشار الغزالي في الإحياء إلى تحريمه إلا في حق من علمنا أنه مات على الكفر كأبي لهب وأبي جهل وفرعون وهامان وأشباههم، لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله، وما ندري ما يختم به لهذا الفاسق أو الكافر، فإن دعوتك عليه باللعنة معناها أنك تدعو عليه ألا يرحم أبدًا، ولا يكون ذلك إلا بأن يموت كافرًا وهو لا يجوز، أما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم فيجوز أنه ﷺ علم موتهم على الكفر. اهـ.

ولذلك فإن العلماء قد انقسموا إلى فريقين: فريق منهم يرى عدم جواز لعن المعين وهم الجمهور وقد استدلوا بأدلة، ومنها ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عمر رضي الله عنه أن رجلاً كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارًا، وكان يُضحك رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد جلده في الشراب، فأُتي به يومًا فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله».

أما أصحاب الرأي الثاني فقد استدلوا بأدلة منها ما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة رضي الله عنها: عليكم السام واللعنة، فقال: «يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر». قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: قد قلت: وعليكم. [حديث صحيح].

وأيضًا بما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، إنما أنا بشر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة. رواه مسلم.

ولعل الراجح هو رأي الفريق الأول؛ لقوة أدلتهم ولعموم النهي عن اللعن ولوروده على غير المعين غالبًا.

عقوبة اللعانين بغير حق

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة». رواه مسلم.

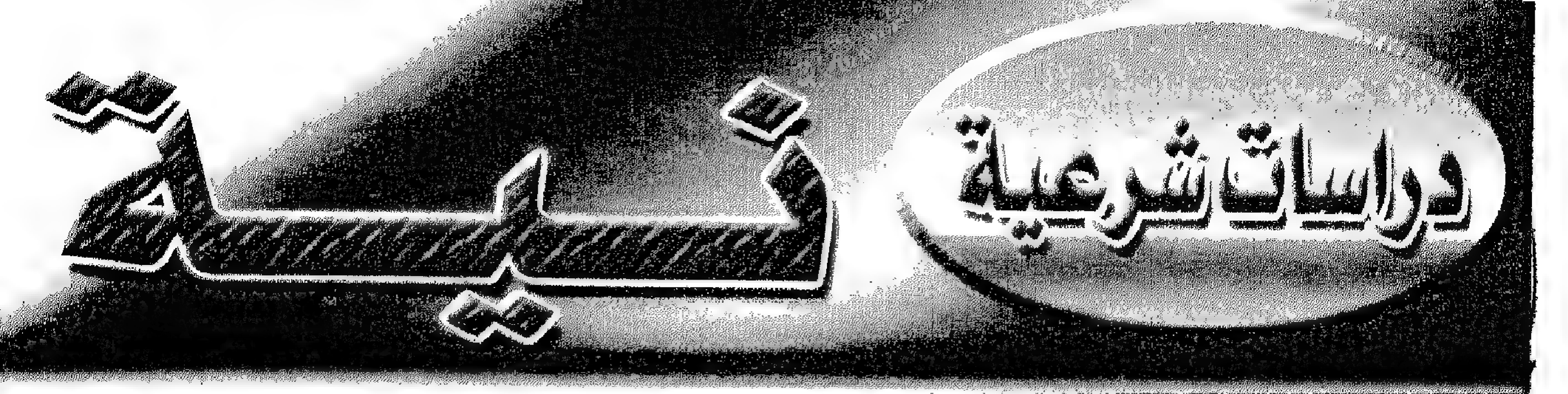
قال النووي رحمه الله: «معناه لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار، ولا شهداء وفي الشهادة ثلاثة أقوال: أصحها وأشهرها: لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات، والثاني: لا يكونون شهداء في الدنيا أي لا تقبل شهادتهم لفسقهم، والثالث: لا يرزقون الشهادة وهي القتل في سبيل الله». اهـ.

ويتضح من هذا الحديث الآتي:

١- أن اللعن يمنع الإنسان من منزلة كبيرة عند الله سبحانه وتعالى وهي منزلة الشفعاء والشهداء وهذه المنزلة لا تكون إلا لأشخاص مقربين عند الله سبحانه وتعالى كالأنبياء والشهداء وحفظة القرآن كما وردت الأحاديث بذلك.

٢- أن الإنسان قد يحرم منزلةً عظيمة عاجلة أو آجلة بسبب قد يظنه هينًا ولكنه عند الله عظيم؛ لأنه منع الإنسان من استحقاق تلك المنزلة، وليس أدل على ذلك من أن الشهيد يغفر له عند أول قطرة من دمه كل شيء، إلا الدين، ويحبس عن دخول الجنة حتى يقضى عنه دينه، وهي منزلة كبيرة يحرم منها عاجلاً لحين قضاء الدين ويحرم اللعان الشفاعة والشهادة آجلاً إلا أن يتوب، فليحرص كل منا على البعد عن اللعن حتى نكون من الشفعاء والشهداء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



سبق أن أشرنا في العدد السابق إلى تعريف النية وأماراتها ودورها في الأعمال، وتأثرها بالإخلاص، وذكرنا أن النية بغير إخلاص رياء، وتحدثنا عن أقسامه، ثم ذكرنا مسألة إظهار النية في أعمال المكلفين وقلنا أنه لا يلزم في اجتناب المنهيات الشرعية استحضار نية اجتنابها.

وعن حقيقة النية ذكرنا أن جوهر النية في الأعمال هو الإخلاص، وتحدثنا عن شأن الإخلاص في العادات والعبادات وما يستلزم الإخلاص لتحقيق الثواب على الأعمال.

وذكرنا أن شرط النية هو المتابعة، وأن ميزان النية هو العمل الصالح فإذا انعدم العمل الصالح انتفت الحكمة الكامنة وراء النية وحبط العمل، وأن النية تميز العبادات عن العادات وتميز مراتب العبادات بعضها عن بعض.. ونكمل إن شاء الله تعالى حديثنا عن نية الاتباع، وأنه لا عبادة إلا على أساس الاتباع لا الابتداع، ويتضح ذلك مما يلي:

النية والطهارة

فالنية (شرط لطهارة الأحداث كلها والتيمم)(١)، وللمؤمن أن يفخر بأن دينه ليس فقط دين الطهر والطهارة، بل أيضًا دين تحكيم النية في كل مسائله(٢)، ومحل النية هو القلب، فمتى انتوى الإنسان بقلبه، فقد أجزاه ذلك عن التلفظ باللسان، أما إن لم تخطر النية على قلب راغب التطهر، فإن إتيان فعل التطهير لا يحقق جوهر التطهير المطلوب شرعًا، لأنه ليس هناك عمل شرعي بدون النية.

ويلزم تقديم النية على الطهارة، لأن النية شرط لتحققها، ولذا فإنه لا عبرة بما قدمه الإنسان من واجبات الطهارة قبل النية.

وصفة الطهارة الشرعية أن يقصد العبد بها استباحة شيء لا يستباح بغير الطهارة، كالطواف، فبالطهارة يزول المانع ويباح الشيء(٣).

فالطهارة الحسية إذًا هي رفع ما يمنع الصلاة من حدث أو نجاسة بالماء أو رفع حكمهن بالتراب(٤) سواء تعلق الأمر بالطهارة الكبرى من الجنابة والحيض، أو بالطهارة الصغرى من الأحداث الصغيرة بالوضوء فهاتان الطهارتان هما قسيما طهارة الحدث. كما يلزم تطهير الثوب والبدن من النجاسة الطارئة، ويجب أن يكون المسلم طاهرًا أيضًا طهارة معنوية وذلك بإخلاص العبادة لله وحده، ولا إخلاص إلا مع الاتباع ونبذ الابتداع.

الوضوء والنية

النية شرط في صحة الوضوء عند جمهور الفقهاء مالك والشافعي وأحمد(٥) (والظاهرية) لأن

الوضوء داخل في عموم الأمر بالإخلاص، والإخلاص هو قوام النية قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:٦]، فلا وضوء بلا نية قلبية. وقد قال ﷺ: «الطهور شطر الإيمان» رواه مسلم وروي كذلك عن عثمان بن عفان أن رسول الله ﷺ قال: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره» وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أمتي يأتون يوم القيام غرًا محجلين من أثر الوضوء» ولا يجوز أن يكون تقدم النية على أول الطهارة طويلا، ولا يلزم اتصال النية بالطهارة كما يرى ابن حزم(٦).

النية والتيمم

ومما يثلج صدر المسلم، أن يشعر أن علماء الإسلام حدثوه عن النية حتى في التيمم، فمهدوا له سبيل إخلاص القلب في العبادة.

فالتيمم لا يصح إلا بنية، ولا خلاف بين أهل العلم في أن التيمم لا يصح إلا بنية، وتنصرف نية التيمم إلى استباحة الصلاة، ولا خلاف بين أهل العلم على أن طهارة التيمم لا ترفع الحدث إذا تم العثور على الماء، فإذا وجد الماء وجب إعادة الطهارة، سواء كان الإنسان جنبًا أم محدثًا.

واختيار ابن قدامة رحمه الله أنه (لو وجد

بقلم

د. محمد محمد شتا أبو سعد

الماء لزمه - أي المتيمم - استعماله لرفع الحدث الذي كان قبل التيمم إن كان جنبًا أو محدثًا أو امرأة حائضًا، ولو رفع (أي التيمم) الحدث، لاستوى الجميع، لاستوائهم في الوجدان، ولأنها طهارة ضرورية، فلم ترفع الحدث، كطهارة المستحاضة، وبهذا فارق الماء).

والنية هي التي تحدد أثر التيمم بالنسبة لنوع الصلاة، فإن نوى المتيمم بتيممه أداء فريضة، كان له أن يصلي به ما شاء من الفروض والنوافل. أما إن نوى به النفل دون الفرض لم يكن له أن يصلي به سوى النفل. وفي كل الأحوال يباح بالتيمم قراءة القرآن، ومس المصحف، والطواف، واللبث في المسجد، وإن نوى المتيمم بتيممه قراءة القرآن لأنه كان جنبًا، أو نوى به البقاء في المسجد أو مس المصحف، لم يكن له أن يفعل به أمرًا آخر خلاف ما نواه، لأنه لم يستبح به غير ما انتواه(٨).

وإذا نوى بالتيمم رفع الجنابة لم يجزئه ذلك عن الحدث الأصغر، ولكن إذا نوى الجميع وعين ما يتيمم له من حدث أصغر وجنابة وحيض أجزاه.

ويلاحظ أن النية لا تبطل القواعد الأصولية الشرعية، لذا فإن المتيمم إذا قدر على استعمال الماء بطل تيممه، وبالتالي يلزمه الوضوء إن كان محدثًا، ويجب عليه الاغتسال إن كان جنبًا.

النية والصلاة

لا تنعقد الصلاة إلا بالنية، وبيان ذلك أن الصلاة واجبة بالكتاب والسنة والإجماع وجوبًا يقتضي توافر هذه النية، فقد قال عز من قائل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥]. والإخلاص مكانه القلب، وهو عمله، ومن ينوي الصلاة يقصد الله وحده، ويريده وحده دون سواه، وما دام محل النية هو القلب، فإنه لا ضرورة للنطق أو التلفظ بها.

وتنصرف نية المصلي في الصلاة المكتوبة إلى الفعل من جهة والتعيين من جهة أخرى، حيث يلزم انتواء صلاة بعينها كالظهر أو العصر أو المغرب أو العشاء أو الصبح، وإذا تعلق الأمر بصلاة فائتة وعيّنها بقلبه، فإنه لا يحتاج إلى استجماع نية القضاء، ولو نوى الشخص أداء الصلاة في وقتها، وبان أن وقتها قد خرج وقعت صلاته قضاء دونما حاجة إلى نية، وضد ذلك صحيح، فلو ظن أن وقت الصلاة قد خرج، فنوى قضاءها واتضح أنها في وقتها، فإنها تقع أداء - لا قضاء - من غير نية. وإذا كان علي الشخص فوائت صلوات، فنوى قضاء صلاة غير معينة منها، فإن ذلك لا يجزئه عن أي واحدة منها لأنه لم يعينها.

ولو نسي صلاة ولم يدر هل كانت ظهرًا أم عصرًا وجب عليه قضاء صلاتين، فإن صلى صلاة واحدة نوى أنها هي الصلاة الفائتة لم يجزه؛ وذلك لعدم تعيين الصلاة، كذلك فإن تعيين الصلاة لا يقتصر على الصلاة المكتوبة بل ينصرف أيضًا إلى بعض النوافل فالنوافل المعينة مثل صلاة الكسوف، وصلاة الاستسقاء، وصلاة التراويح، والوتر، والسنن الرواتب، كلها تحتاج إلى تعيين، أما النوافل المطلقة مثل صلاة الليل فهي غير معينة ولذا يكفي فيها مجرد نية الصلاة.

ولما كانت النية عزمًا جازمًا، فإن الصلاة المترددة بين الإتمام والقطع لا تصح، لأن التردد ينفي الجزم، وإذا تلبس المصلي بالصلاة بنية صحيحة، ثم نوى قطع تلك الصلاة فإنها تبطل عند الشافعي، وقال أبو حنيفة إنها لا تبطل لأنها عبادة صح دخول المصلي فيها فلم تفسد بنية الخروج منها كالحج، ويقول صاحب المغني: (إنها تفسد إذا قطعت قبل إتمام الصلاة لذهاب شرطها، بخلاف الحج فإن الحاج لا يخرج منه لمجرد مقارفة محظوراته أو مفسداته)(٩).

والذي يتم استصحابه بداهة هو حكم النية، وليس حقيقة النية، لاستحالة ذلك ولأن النية لا تعتبر حقيقتها في أثناء العبادة، ولذا فإن الإنسان إذا ذهل عن النية في أثناء الصلاة ظلت صلاته صحيحة، لكن لو شك المصلي في أثناء الصلاة هل نوى أو لم ينو، أو شك في تكبيرة الإحرام، كان عليه أن يستأنفها، وإذا أحرم الإنسان بفريضة معينة كالظهر ثم نقل نيته إلي فريضة اخرى، فقد بطلت الفريضة الأولى لأنه قطع نيتها ولم تصح الفريضة الثانية، لأنه لم ينوها من البداية.

ويجوز تقديم النية على التكبير بالزمن اليسير فقط.

وإذا لم ينو المصلي الخروج من الصلاة، فإن المنصوص عن الإمام أحمد رحمه الله أن صلاته لا تبطل(١٠)؛ لأن نية الصلاة انصرفت إلى جميع الصلاة، والسلام من جملة الصلاة.

ونية قصر الصلاة شرط في جواز القصر، ويلزم وجودها عند أول الصلاة كنية الصلاة؛ لأن الإتمام هو الأصل، وإطلاق النية ينصرف إلى الأصل، ولو شك في أثناء صلاته هل نوى قصرها في ابتدائها أو لم ينو وجب عليه إتمام الصلاة احتياطًا(١١).

النيــــة والزكـــــاة

ذهب عامة الفقهاء إلى أن النية شرط في أداء الزكاة، فلا يجوز إخراج الزكاة إلا بنية، إلا إذا أخذها الإمام من المزكي قهرًا عنه، ووجوب النية في الزكاة كوجوبها في الصلاة، لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» ولما كان أداء الزكاة عملا فإنها تفتقر إلى النية، وليس صحيحا ما حكي عن الأوزاعي من أن الزكاة لا تجب لها النية تأسيسًا على أنها دين، فالحقيقة أنها عبادة، وقضاء الدين ليس عبادة، ولذا فإن الدين يسقط بإسقاط مستحقه له، وإذا تعلق الأمر بمن لا تصدر عنه النية كالصبي فإن وليه ينوب عنه عند الحاجة.

ونية الزكاة تستلزم اعتقاد المزكي أن ما يقدمه إنما هو زكاته، وزكاة من يقوم بإخراجها عنه كالصبي والمجنون، ومحل النية هو القلب، باعتباره محل الاعتقادات كلها، ومثل سائر العبادات فإنه يجوز تقديم النية على أداء الزكاة بالزمن اليسير(١٢). ولكن إذا دفع الشخص الزكاة إلى الإمام حال قيامه بدفعها إلى الفقراء جاز ذلك، وتصح الزكاة بلا نية لو أخذها الإمام قهرًا، لأن تعذر النية يسقط وجوبها.

وكما أن الإنسان إذا صلى دهرًا دون أن ينوي أداء الفرض أو قضاءه لم يجزئه، فإن الإنسان إذا تصدق بجميع ماله دون أن ينوي بذلك الزكاة لا يجزئه، وفي باب زكاة التجارة: لا خلاف في المذهب الحنبلي في أنه إذا اشترى شخص عروض تجارة نوى أن يقتنيها فإنها تصير للقنية وتسقط الزكاة عن المشتري، وهذا ما ذهب إليه الشافعي وأصحاب الرأي، ويقول صاحب المغني ما حاصله: أن القنية هي الأصل، ويكفي في الرد إلى الأصل مجرد النية، ولما كانت نية التجارة شرطًا لوجوب الزكاة في العروض، فإنه إذا نوى القنية فقد زالت نية التجارة وفات بالتالي شرط وجوب الزكاة.

والنية أو بالأحرى تغيير النية يقطع سريان مدة الحول فيبدأ احتسابها من جديد، فإذا حاز ماشية للتجارة نصف حول، فقطع نية التجارة ونوى بها الإسامة، انقطع حول التجارة، واستأنف حولا آخر.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

---

(١) انظر مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الثاني. فقه المجلد الأول مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص١١، وانظر المصدرين المشار إليهما في فاتحة المجلد بصدد النية في باب المياه، وص٣٣ بصدد ما ورد في المتن وانظر ص٧١ سطر١١ وثمة تفصيلات أخرى.

(٢) انظر د. ناصر بن عقيل بن جاسر الطريقي، القضاء في عهد عمر بن الخطاب ج٢ ط١٤٠٦هـ ص٦٥٦ وما بعدها بصدد الإخلاص في القضاء (وغيره)، وانظر ثمة عبارة ابن القيم التي أوردها له.

(٣) انظر التفاصيل في المغني لابن قدامة ج١ ص١١٠ - ١١٤.

(٤) المصباح المنير ج٢ ص٤٤٩، المطلع على أبواب المقنع، لأبي عبد الله محمد بن أبي الفتح الجندي ص٥.

(٥) وهو قول الليث وإسحاق وابن المنذر وأبي ثور وربيعة وغيرهم. انظر د. صالح بن غانم السدلان، الرسالة السابقة ص٣٩٣، ويساند الجمهور دليل عام هو قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»، والقياس، والحديث المذكور ليس ناسخًا لمطلق الآيات لأن الزيادة على النص ليست نسخًا، وإن كان النسخ بالآحاد ممكنًا لأن الكل من عند الله والكل حق.
وانظر الإحكام في أصول الأحكام (للآمدي) ج٣ ص١٧٠.

(٦) انظر تفصيلات ضافية في رسالة د. صالح بن غانم السدلان، ص٤٠٨-٤١٣، وانظر ص٤١٤ وما بعدها من صفة نية الوضوء وحكم نية الغسل، ورفع الأحداث المتعددة بنية واحدة. (٧) بدائع الصنائع للكاساني ج١ ص١٩٦، إرشاد المسترشد ج١ ص٩٦.

(٨) انظر التفصيلات في المغني من ص٢٥١ حتى ٢٥٣ وص٢٦٣ حتى ص٢٦٥ وص٢٦٧ وانظر الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب المصدر السابق قسم ٢ مجلد١ ص١١٢ - ١١٣ وانظر ثمة ما ورد عن الإنصاف.

(٩) انظر التفاصيل في المغني ج٢ ص٤٦٤ وما بعدها، وقد آلينا تلخيص الآراء بأسلوب بسيط حتى لا نهمل موضوعات بالغة الأهمية، وحتى يظل القارئ متابعا الفكرة، ولم نشأ الرجوع إلى المصادر التي أشار إليها هذا المرجع اكتفاءً به، وحتى لا يتشعب البحث في مسائل مستقرة، وإن كان منهج البحث يقتضي الإشارة إليها تنبيهًا للمبتدعين.

(١٠) المصدر السابق، ص٥٥٧. (١١) المصدر السابق، ص٢٦٥ - ٢٦٩. (١٢) المغني، ج٢ ص٦٣٨ - ٦٤٠.



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..

وبعد:

كان ما مضى من حلقات في بيان التربية التي ربّى عليها رسول الله ﷺ النشء المسلم في مراحل العمر المختلفة- حتى البلوغ، والآن وبعد بلوغ الأطفال نود أن نتحدث عن تلك الفترة التي تلي البلوغ والتي هي بعنوان:

العناية بالشباب بعد البلوغ

(التهيئة للزواج)

إن الأطفال في بداية حياتهم وفي العشر السنين الأولى خاصة من أعمارهم ينشأون على ما تلقوه وتعودوه من آبائهم، فالولد- ذكرًا كان أو أنثى- يأخذ عاداته وأخلاقه وتربيته من أبويه ومن المربين له، ومن نجح في تربية أبنائه في هذه الفترة، علما وأدبا، قولا وعملا، سلوكا وأخلاقًا، فليستبشر بأنه سيصل بإذن الله بأولاده إلى سن البلوغ وهم على هذا السلوك الحسن الذي أدبهم وعودهم عليه في تلك السنوات العشر الأولى.

وإذا بلغوا وهم على هذا الحال، فيستطيع الأبوان حينئذ أن يقولا للأولاد: هيا انطلقوا أيها الأولاد الله وعلى صراط الله وعلى النهج النبوي، انطلقوا يا أبناء وعين الله ترعاكم.

وستقر أعين الأبوين برؤية ثمرات الفؤاد وفلذات الأكباد، جيلا جديدا يشق طريقه في الحياة، لا تزلزله الشدائد، ولا تعصف به العواصف. وهذا بلا شك ثمرة الصبر على التربية، الصبر على الطاعة وصنع المعروف، فما على الأبوين حينئذ إلا تعاهد هذا الجيل بمزيد من العناية والتوجيه وبث الخبرات، وتلقين التجارب، فهو التعاون على البر والتقوى. ولأنه إذا بلغ الأولاد وأصبحوا على عتبة الزواج فإنه سيواجههم حتمًا علوم جديدة لم يتلقوْها ولم يتعرفوا عليها من قبل، وربما سمعوا عنها من طرف خفي، بطريقٍ ما أو بآخر، في مدرسة أو في معهد أو غيره، لكنهم لم يسمعوا عنها من الأبوين، فهي أمور لم تأت المناسبة للحديث عنها لحساسيتها ولعدم الحاجة إليها فيما مضى، ولما يعتري الحديث عنها من الحياء الشديد والخجل الممض(١)، خاصة عند الأسر المحافظة.

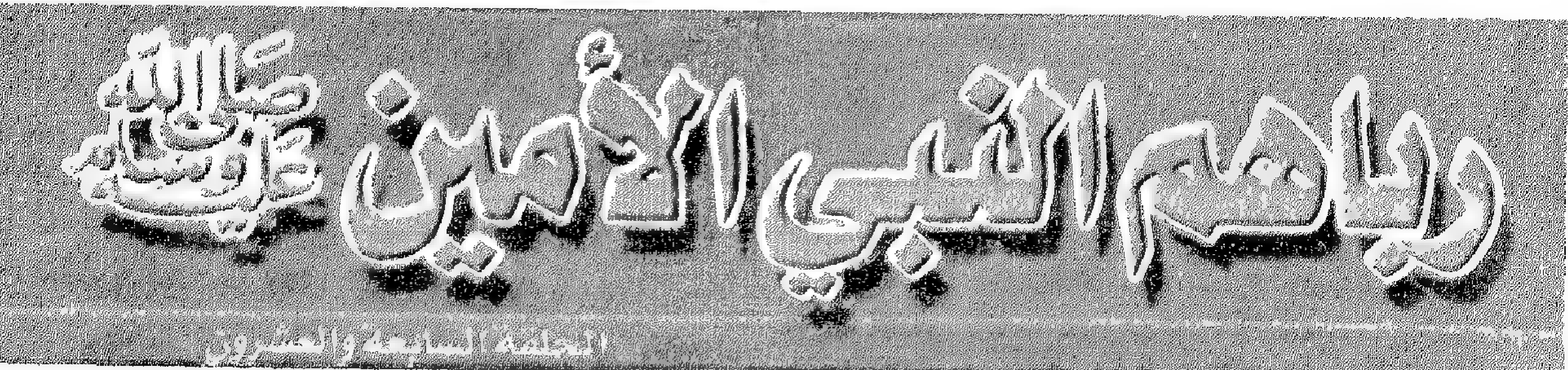
هذه الأمور هي ما يتعلق بالبلوغ من أحكام، وبالزواج من آداب.

فالبنت إذا بلغت رأت الحيض وربما خرج منها مَنِيٌّ باحتلام، وكذلك الابن ببلُوغه، ربما يرى المني لكنه لا يعرفه، هذا فضلا عما يعتري الشباب إبَّان البلوغ من ثبوت الغريزة، والميل الفطري وبوادر الشهوة وتداعيات المراهقة!! وفي الجملة:

كيف يُعاملُ الأولاد في الأمور الجنسية؟

أقول: إذا عدنا قليلاً إلى الوراء، فإن الأبناء في السن الصغير وخاصة في المراحل الابتدائية ربما يَدْرسون أشياءً جنسية عن طريق المدرسة أو المعهد أو غيره، فيسأل الولد في الغالب أمه- القريبة منه- وتخجل الأم، وربما أجابت طفلها بأن يسأل أباه، وكثيرٌ من الأخوات المحافظات كانت تستغيث وتقول: البنت الصغيرة تسألني، كيف ولدتيني يا أمي ومن أين خرجت؟ وتقول: وابني بالمدرسة يسألني: يا أمي أخذنا في الدرس أن من نواقض الوضوء، التقاء الختانَيْن، فما معنى الختانين؟!

هناك بعض الأسئلة يمكن الإجابة عليها بسهولة مهما كان سن الطفل، كسؤاله: كيف وُلد؟ وكيف خرج؟ تستطيع الأم حينئذ أن تقول له: خرجتَ من بطني، وهي في ذلك قد وافقت قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، وهذه هي الحقيقة، ثم تحاول الأم صرف الطفل عن كثرة السؤال ما دامت أنها أجابته، آخذةً في الاعتبار ألا تكذب عليه بحال. وأما سؤال الطفل أمه عن الختانين فيمكنها أن تخبره بأن المقصود بهما العورة، وهي بذلك قد أجابته عما يكفه عن مزيد السؤال.



هذا بالنسبة للأطفال الصغار الذين يكون من العبث شرح هذه الأشياء لهم تفصيلاً، والتي تؤدي بدورها إلى سلسلة من الأسئلة لن تنتهي، وكلها تحتاج إلى إيضاح لا يستوعبه الطفل إنما يفتح عينيه على أمور تكون معرفتها أضر من جهلها، ومن المهم تنبيه الأطفال الصغار إلى عدم العبث في عوراتهم، وخاصة البنت عند؛ الاستنجاء وتنظيف الفرجين.

لكن إذا كبر الأولاد وبلغوا كما أسلفنا فماذا يقال لهم في الأمور الجنسية؟

أقول: الأمر بالتدرج أيضا. فالذي يكون على وشك البلوغ يُعلَّم أحكام المراهقة وعلامات البلوغ من نزول ماء دافق.. إلخ

فإذا بلغ يقال له ما يكفي لمعالجة مشاكل البلوغ؛ كرؤية المني بالفعل، وأحكام الغسل وأركانه، وكذلك البنت تعرَّف على دماء الحيض وأحكام الحيض والطهارة منه ...

مثل أن يستيقظ النائم أحياناً فيجد ماء الجنابة على جسده وثوبه وهو ما يسمى بالاحتلام، ومعنى الجنابة وسبب، وأحكام هذه الأمور من غسل وكيفيته، ولا ينبغي أن يُستَحْيَى من ذلك حياءً يمنع من توضيح الأحكام فإنه حق، والله لا يستحيي من الحق، وليس خجل الأب والأم حينئذ بأعظم وأشد من خجل امرأة صحابية أجنبية سألت سيد البشرية ﷺ عن مثل ذلك قائلة: يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق؛ هل على المرأة من غُسْل إذا هي احتلمت؟ فأجاب ﷺ بلا نكير ولا تحفُّظ قائلاً: «نعم إذا رأت الماء».

أما البالغون يريدون الزواج فلا بد من تعريفهم أمور قبل الزواج لا غنى بأمور عن معرفتها، كأحكام البناء، والمعاشرة الزوجية، ولقاء الزوجين خاصة أول مرة، وذلك من الواجب؛ لتفادي احتمال حدوث مشاكل واضطرابات وحرج وربما وصل الأمر إلى الطلاق بسبب الجهل بالمعاشرة الصحيحة ثم يبدو للناس ما كنا نُخفيه، وقد رأينا في الواقع هذه الحالات بالفعل.

بل وحدثت هذه الأمور في زمن النبي ﷺ، فعن

بقلم/ جمال عبد الرحمن

ابن عباس قال: إنما كان أهل هذا الحي من الأنصار - وهم أهل وثن - أي قبل الإسلام، مع هذا الحي من يهود - وهم أهل كتاب - وكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان أمر أهل الكتاب ألا يأتوا النساء إلا على حرف (أي: نومًا على الجنب)، وذلك أستر ما تكون المرأة، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحًا (أي يأتون النساء وهن نائمات على أقفائهن)، ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك، فأنكرته عليه، وقالت: إنما كنا نؤتى على حرف، فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني، فشرى أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي مقبلات، ومدبرات، ومستلقيات، يعني بذلك موضع الولد. أي الفرج(٢).

ولهذا، فإن حوارًا يدور بين البنت وأمها أو الابن وأبيه وإن كان يشوبه الخجل لكنه فيه منفعة ودرءٌ في الوقت نفسه لمفسدة محتملة. والله أعلم.

وليس أدل على تبيين هذه الأمور للشباب، من إيراد ربنا سبحانه وتعالى لها وإيجابها على المكلفين البالغين؛ والله تعالى جعل التكليف على هؤلاء البالغين، فكيف يكلفهم ثم نكتم نحن عنهم شيئًا مما هو في دائرة تكليفهم؟

فقال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦].

وقال: ﴿فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ

الْمُتَطَهِّرِينَ * نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٢، ٢٢٣].

وقال: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦]. والإيلاء: الامتناع عن جماع المرأة.

فإن قيل: إن هذه الآيات وأشباهها تتحدث عن المتزوجين بالفعل فلا حاجة لغير المتزوج في شرحها له؛ قلنا: فكيف نفسر لهم قوله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »؟!

وقول الله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٥، ٦].

وإن من أوائل السور التي يحفظها الطفل وهو صغير قول الله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٦، ٧].
بل وكيف نحذره من الزنى وهو لا يعرفه وقد حذر الله تعالى منه. فقال: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى﴾ [الإسراء: ٣٢]، فكيف تُكتم كل هذه المعاني عن الكبير البالغ الذي أوشك على الزواج؟

وفي الجملة أقول مرة أخرى: إن الشباب على العموم من سن ١٠: ١٤سنة وبالأخص من ١٢: ١٥ سنة وما حولها يُحدَّثون عن تلك العلامة من علامات البلوغ وهي المني ونزوله ودلالته على البلوغ وتحمل التكليفات الشرعية كما يُبيَّن له أنه عند رؤيته - أي المني - فله أحكام - كفقدان الطهارة ووجوب الغسل منه للتطهر والصلاة. وصفة الغسل فإذا رأى الشاب على جسده أو ثيابه ماءً جافًا أو طريا فهي الجنابة، والبنات في ذلك كالأبناء سواء بسواء، والبنت تُفهّم زيادة على ذلك أحكام الحيض إذا حاضت ورأت الدم، لئلا تنزعج عند رؤيتها له؛ كما يتعلمون علامات البلوغ وأنها بلوغ ١٥ سنة أو إنبات شعر العانة وهو الشعر الخشن، أو نزول المني، وهذه الثلاث يشترك فيها البنون والبنات، وتزيد في البنات علامة رابعة؛ وهي ظهور دم الحيض، فأي هذه العلامات ظهر أولا فقد بلغ الابن أو البنت.

ولا حرج ولا خجل في تبيين وتوضيح هذه الأمور، فالغسل واجب على كل محتلم أصابته الجنابة بالاحتلام، فكيف يجب الغسل على من لا يعرف الجنابة؟ كما يبين لهم سنن الفطرة من حلق عانة ونتف إبط وغير ذلك وتوقيت إزالة هذه الأشياء.

كذلك يعرف الأبناء أحكام المذي(٣) والودي(٤) لأنهما أيضا من الأشياء التي تنقض الطهارة تماما، ولقد طرحت أسئلة كثيرة تفيد أن بعض الشباب والشابات كانوا يصلون وهم على جنابة غير أنهم لم يكونوا يعلمون بأن هذه جنابة، وكذلك فتيات صلت وصامت وهنَّ حيَّض؛ لأنهن لم يعرفن الحيض وأحكامه، وتلك مسئولية الآباء والأمهات.

كما يبين لهم أيضًا أن المحتلم- وهو النائم الذي يرى أنه يجامع - إذا احتلم ولم ير الماء بعد يقظته فلا غسل عليه، فإذا رآه جافًا أو طريا وجب الغسل كما في حديث أم سليم قالت: يا رسول الله هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ قال: « نعم، إذا رأت الماء ».

وكما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « إذا استيقظ أحدكم من نومه فرأى بللاً ولم ير أنه احتلم اغتسل، وإذا رأى أنه قد احتلم ولم ير بللاً فلا غسل عليه »(٥).

فإذا أراد الولد أن يتزوج أو بلغت البنت سن الزواج وجاءها خاطب فإن حقها الشرعي أن تستشار فيه وألا يلغى حقها في القبول من عدمه فتستأذن أما الثيب فتستأمر، كما روى ذلك البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تُنكح الأيّم حتى تُستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن ». قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: « أن تسكت ». أما الثيب فيحتاج أبوها أو وليها إلى موافقتها الصريحة على الزواج، وهذا معنى « تُستأمر »، والبكر يطلب منها الإذن بالعقد، ولا تكلف بالجواب الصريح بالرضا، بل يكفي السكوت لأنها تخوض التجربة لأول مرة، وقد تستحي من التصريح، وقد عبَّرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن ذلك فقالت: يا رسول الله، إن البكر تستحي، فقال: « رضاها صماتها » أي: سكوتها. رواه البخاري.

ولكن ينبغي التأكد على أن يكون السكوت عن

رضـا، لا عن رفض، وولي الأمـر قـادر على فـهم الحالين فهو أدرى ببناته، كما أن موافقته أيضًا شرط أساسي، فهو أحرص الناس على ابنته أو مُوَلِّيته، وهو الأعرف بالرجال عنها، فموافقته شرط في النكاح من أساسه، وعليه هو أن يتقي الله فيما ولاه الله إياه.

وتُمكن البنت من رؤية خاطبها كما يراها خاطبها وينظر إليها، فلها الحق في رؤية من سيشاركها حياتها، ويُفهم الجميع أحكام الخطبة بعد الموافقة على صاحب الخلق والدين وصاحبة الدين أيضًا، وبيان أنَّ الخطبة والرؤية للموافقة فقط من الطرفين، لكنها لا تحل حرامًا ولا تجيز خلوة وخروجًا وصحبة واختلاطًا وتعارفًا ودراسة وتجربة مما يفعله الجاهلون بأحكام الدين.

-يستحسن دائمًا أن يكون العقد قبل البناء بفترة أقلها شهر، هذا لمن يريد أن يجمع بين العقد والبناء؛ لأن العقد قبل البناء يتيح للزوجين معرفة كل منهما الآخر، والاستئناس فيما بينهما، كل هذا في بيت أهلها بدون خلوة، أما البناء المفاجئ ففيه وحشة وكلا العروسين ينظر للآخر بترقب وحرج لعدم حصول الأنس قبل ذلك.

والكلام هذا كله لا ينطبق إلا على أهل الدين المحافظين على حرمات الله، أما المتفلتون المفرطون فقد تجاوزوا هذا الكلام بمراحل. والله المستعان.

كما يُفهم الزوج الذي سيبني بزوجته أن يكون رفيقًا بها لا يأتيها كالوحش أو كالفحل متعجلاً شهوته، لأنها هي الأضعف بلا شك والأشد حرجًا والأكثر تضررًا والأقرب تأثرًا، فجماعُهُ لها يخلّف له رغبة وشوقًا، ويخلّف لها تعبًا وألمًا.

وليأخذ بوصية رسول الله ﷺ للأبكار: « يداعبها وتداعبه، ويضاحكها وتضاحكه » فكل هذه المقدمات تسهل اللقاء الأول وتزيد الاستفادة منه بين العروسين.

كما يُبين لهما صفة الغسل الشرعي من الجنابة وكيف يكون التعامل أثناء الحيض، وهدي النبي ﷺ غني بالإرشادات الهادية إلى سعادة الدارين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل، هل عليهما الغسل؟ وعائشة جالسة، فقال رسول الله ﷺ: « إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل»(٦).

ويُبين لمن أراد الزواج من الجنسين حرمة الجماع أثناء الحيض أو النفاس وكذلك حرمة الوطء في الدبر بأي حال من الأحوال.

بهذا يكون الأبوان قد خرّجا الأولاد من المدرسة التربوية إلى بيت الزوجية، وأسسا بيتًا وأسرة مسلمة جديدة لم يبق إلا أن يقال للعروسين: « بارك الله لكما، وبارك عليكما وجمع بينكما في خير ».

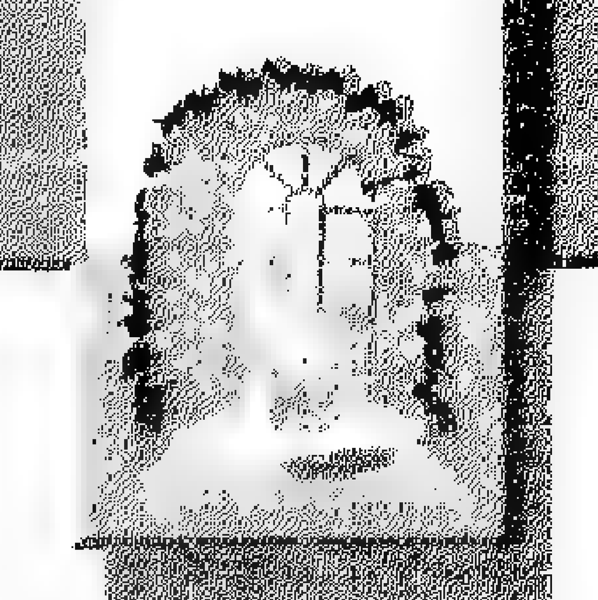
أخي المربي، أختي المربية: ينبغي أن نتعامل مع الأبناء في هذه الأمور الجنسية بأسلوب تربوي من منظور إسلامي بعيدًا عما تبثه وسائل الإعلام من أحاديث لا يراعى فيها الضوابط الشرعية ومراحل عمر الطفل، أو ما يتناقله الأبناء من معلومات عن طريق زملائهم في المدارس والجامعات وغيره وخاصة ما يذيعه رفاق السوء الذين لم يُعلموا أو يوجهوا.

وعلى الآباء حينئذ أن يقوموا بدور من يضع النقاط على الحروف، وذلك بتلقين أبنائهم وتنظيم معلوماتهم وتهذيب سلوكهم، كل مرحلة على قدر استيعابها. كما يوجّهون إلى ألا يسترسلوا في السماع والاستماع لما يردده زملاؤهم من حوادث وأحداث جنسية وأفكار شهوانية حتى لا تفسد أخلاقهم أو تنحرف توجهاتهم، وعلى الأبناء أن يبلغوا أهليهم بكل ما يجدونه غريبًا عليهم في سلوك زملائهم من أشياء لم يروها من قبل ولم يسمعوا عنها من آبائهم حتى يستطيع الأبوان ضبط الأمور وتحصين الأولاد وإفادتهم وتبصيرهم بما ينفعهم أو يضرهم.

والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين.

الهوامش:

(١) الممض : أي المحرق الشاق - لسان العرب .
(٢) رواه أبو داود - كتاب النكاح ٢٤٩/٢، وحسنه الألباني.
(٣) المذي : سائل أبيض شفاف ينزل من مداعبة النساء أو التفكير في الجماع.
(٤) الودي : ماء رقيق أبيض يخرج من ذكر الرجل بعد البول. وكلاهما نجس يكفي للتطهر منه غسل المكان وما أصاب الثوب.
(٥) حسن . صحيح الجامع ح ٣٣٠ .
(٦) مسلم ح ٣٥٠ .



المرأة بين تكريم الإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد:

إن الدين الذي جاء به محمد # عقيدة حق من أخص خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن إحساس العزة من غير كبر، وعلو همة، من غير بطر، وروح الثقة في غير اغترار وشعورًا بالأمان والاطمئنان من غير تواكل.

دينٌ يشعر أتباعه بالمسئولية الملقاة على عواتقهم وتبعة الأمانة على الاستقامة على الحق والدعوة إليه في المشارق والمغارب.

لقد جاء محمد ﷺ بدين الإسلام من عند ربه الذي رضيه وأكمله وأتم به نعمته، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

لقد كرّم الإسلام المرأة ورفع قدرها وأعلى شأنها، ووعدها بالحياة الطيبة والجزاء الأوفى في الدنيا والآخرة ما دامت متمسكة بدينها ملتزمة بشريعتها، مغتبطة بعقيدتها.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

لم تعرف البشرية في تاريخها دينًا ولا حضارة عنيت بالمرأة أجمل عناية وأتم رعاية وأكمل اهتمامًا كالإسلام، تحدث عن المرأة وأكد على مكانتها وعظم منزلتها، جعلها مرفوعة الرأس، عالية المكانة، مرموقة القدر، لها في الإسلام الاعتبار الأسمى، والمقام الأعلى، تتمتع بشخصية محترمة وحقوق مقررة وواجبات معتبرة، نظر إليها على أنها شقيقة الرجل، خلقا من أصل واحد ليسعد كلٌ بالآخر ويأنس به في هذه الحياة في محيط خير وصلاح وسعادة، قال ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال». رواه أحمد والترمذي وحسنه.

لقد أشاد الإسلام بفضل المرأة ورفع شأنها، وعدَّها نعمة عظيمة، وهبة كريمة، يجب مراعاتها وإكرامها وإعزازها.

يقول المولى عز وجل: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «لا يفرك مؤمن مؤمنة- أي لا يبغضها- إن كره منها خُلقًا رضي منها آخر».

المرأة في ظل تعاليم الإسلام القويمة، وتوجيهاته الحكيمة، تعيش حياة كريمة في مجتمعها المسلم، حياة ملؤها الحفاوة والتكريم من أول يوم تقدم فيه إلى هذه الحياة ومرورًا بكل حال من أحوال حياتها.

رعى حقها طفلة، وحث على الإحسان إليها، ورعى حقها أمًا ودعا إلى إكرامها إكرامًا خاصًا، وحث على العناية بها.

قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

بل جعل حق الأم في البر آكد من حق الوالد، جاء رجل إلى نبينا ﷺ، فقال: يا رسول الله، من أبر؟ قال: «أمك». قال: ثم مَن؟ قال: «أمك». قال: ثم مَن؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أبوك». متفق عليه.

ودعاة التحرر والبهتان

بقلم
محمد بن أحمد سيد أحمد
المدرس بدار الحديث
الخيرية بمكة المكرمة

المرأة شقيقة الرجل، خلقا من أصل واحد ليسعد كل بالآخر ويأنس به.

رعى الإسلام حق المرأة زوجة، وجعل لها حقوقًا عظيمة على زوجها، من المعاشرة بالمعروف والإحسان والرفق بها والإكرام، قال ﷺ: «ألا واستوصوا بالنساء خيرًا». متفق عليه. وفي حديث آخر أنه ﷺ قال: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائه». متفق عليه.

لقد اتخذ تكريم المرأة في الإسلام- غير ما ذكر- صورًا عديدة ومظاهر متنوعة، فمن ذلك:

-أن القرآن نعى على عرب الجاهلية ما كانوا يقدمون عليه من وأد بناتهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ١٣].

- أعطى الإسلام المرأة الحق كاملاً في ممارسة العبادة بغية الحصول على الأجر العظيم والمغفرة من الله عز وجل إن هي فعلت ما أمر الله تعالى به، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

-يسرَّ الإسلام السبيل أمام المرأة لتتفرغ لأجل مهمتها في الحياة وهي حفظ النسل والقيام عليه بالرعاية والتعليم والتربية والتهذيب.

قال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبًا طيب الأعراق

-جعل الإسلام للمرأة نصيبًا مفروضًا في تركة الرجل سواء أكانت هذه المرأة أمًا أو بنتًا أو أختًا أو زوجة وضمن لها بذلك الحق في حياة طيبة كريمة.

-إخبار الله تعالى في القرآن بأن الله خلقنا من ذكر وأنثى وجعل ميزان التكامل هو العمل الصالح والتقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

-ومن مظاهر تكريم المرأة في الإسلام الاهتمام بتعليمها، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن. الحديث.

-ومن مظاهر تكريم المرأة في الإسلام أن الله تعالى ذكر لها سورة في القرآن ألا وهي سورة «النساء».

المرأة في الإسلام كيان محترم، مشكور سعيها، محفوظة كرامتها، موفورة عزتها.

لقد قرر الإسلام أن المرأة إنسان مبجل، وكيان محترم، مشكور سعيها، محفوظة كرامتها، موفورة عزتها، رد لها حقها المسلوب، ورفع عنها المظالم، لا

تحبس كرهًا ولا تعضل كرهًا، ولا تورث كرهًا، تنزل منزلتها اللائقة بها، أمًا وأختًا وزوجة وبنتًا، وأمر بمعاشرتها بالمعروف، والصبر على السيئ من أخلاقها، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

-لقد سعى أعداء الإسلام سعيًا حثيثًا لتحرير المرأة من تعاليم دينها وقيم أخلاقها، تارة باسم تحرير المرأة، وتارة باسم الحرية والمساواة، وتارة باسم الرقي والتقدم الكاذب، مصطلحات ظاهرها الرحمة والخير، وباطنها الهلاك والشر، شرٌ يُبنى على قلب القيم وعكس المفاهيم، والتحلل من كل الضوابط والقيم والمسئوليات الأسرية، والحقوق الاجتماعية التي قررها الإسلام، حتى تصبح المرأة سلعة تدار في منتدى الملذات وأسواق الشهوات.

فالمرأة في نظر هؤلاء هي المتحررة من شئون منزلها وتربية أولادها، وهي الراكضة اللاهثة في هموم العيش والكسب ونصب العمل ولفت الأنظار وإعجاب الآخرين، ولو كان ذلك على حساب دينها وأخلاقها ومسئولياتها، فلا هي حينئذ بطاعة ربها ملتزمة، ولا لحقوق زوجها مؤدية، ولا في إقامة مجتمع فاضل مسهمة، ولا بتربية نشئ الأمة قائمة.

تلك نظراتهم للمرأة المسلمة، انطلاق تام، وتحرر كامل، تحررٌ يغرق الإنسان في الضياع والرذيلة وفقدان القيمة والهدف والغاية. أما في الإسلام فالمرأة في ظله من أهم عناصر المجتمع، أعدها لتكون مربية للأجيال، مصنعًا للأبطال، ومع هذا فالإسلام- وهو الذي يجعل للعمل الخيِّر منزلة عظمى ومكانة كبرى- لا تأبى تعاليمه عملاً للمرأة في محيط ما تزكوا به النفس، وتُقوِّم به الأخلاق، وتحفظ به المرأة كرامتها وحياءها وعفتها، وتصون به دينها وبدنها وعرضها وقلبها، وذلك من خلال ما يناسب فطرتها ورسالتها، وطبيعتها ومواهبها، وميولها وقدراتها، ومع ذلك فالإسلام يمنع المرأة وبكل حزم من كل عمل ينافي الدين، ويضاد الخلق القويم، ويصادم طبيعة خلقتها، فيشترط في عملها أن تكون محتشمة وقورة، بعيدة عن مظان الفتن، غير مختلطة بالرجال الأجانب عنها، ولا متعرضة للسفور والفجور، ولئن أردنا حقيقة الواقع الذي يخالف ذلك المنهج الإسلامي فاسمع- يارعاك الله- لأحد كتّاب الغرب وهو يقول: «إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية لأنه هاجم هيكل المنزل، وقوض أركان الأسرة، ومزق الروابط الاجتماعية».

وتقول أخرى وهي دكتورة تحكي أزمات مجتمعها، تقول: «إن سبب الأزمات العائلية وسر كثرة الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة، فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق» إلى أن قالت: «والتجارب اثبتت أن عودة المرأة إلى المنزل هي الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذي هو فيه».

وفضلاً عن ذلك فإنه ينبغي أن يعلم الجميع أن كمال المرأة في أنوثتها وأمومتها، كما أن كمال الرجل في رجولته وصلابته وتحمله، وقد لعن النبي عليه الصلاة والسلام الرجل الذي يتخلى عن رجولته فيتشبه بالنساء في القول أو الفعل أو الهيئة، ولعن المرأة التي تتشبه بالرجال في القول أو الفعل أو الهيئة.

وفي الحديث: «لعن النبي ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال». رواه أحمد وأبو داود بسند حسن.

إننا إذا أردنا بعد توفيق الله نتائج سارة ونافعة للأمة فإنه لا بد من تكريس الجهود وتربية المرأة وإعادة دورها المنشود ورسالتها الراشدة وهو خير ما يجتمع الناس له ويتواصون به، قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». فعلينا جميعًا أن نعمل على بناء المرأة المسلمة ببذل الجهود وجمع الوسائل والدعاء الصالح والرأي الناصح والدعم بالمال ونشر العلم المستمر من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ وسيرة السلف الصالح وسلوك المسلمات الصالحات.

فالحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، وهدانا إلى الإيمان. والحمد لله رب العالمين.



أسئلة القراء عن الأحاديث



يجيب عليها

أبو إسحاق الحويني

يسأل القارئ: محمود محمد منصور- محافظة الدقهلية قال:
سمعت بعض الخطباء يقول أن بعض أهل الجنة يمارس مهنة الفلاحة في الأرض، فهل هذا صحيح؟

والجواب بحول الملك الوهاب: لعلّ هذا الخطيب يقصد ما أخرجه البخاري في «الحرث والمزارعة» (٢٧/٥)، وفي «التوحيد» (٤٨٧/١٣) قال: حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح، حدثنا هلال، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يومًا يحدِّث، وعنده رجلٌ من أهل البادية: أن رجلاً من أهل الجنة، استأذن ربه في الزرع، فقال له: أو لست فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع، فأسرع وبذر، فتبادر الطرفَ نباتُهُ واستواؤه واستحصادُهُ وتكويرُهُ أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء. فقال الأعرابي: يا رسول الله، لا تجد هذا إلا قرشيًا أو أنصاريًا، فإنهم أصحاب زرع فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ.

وأخرج البخاري في «الحرث» (٢٧/٥) قال: حدثني عبد الله بن محمد، وأحمد في «المسند» (٢/٥١١- ٥١٢) قالا: ثنا عبدالملك بن عمر وأبو عامر العقدي، قال: ثنا فليحُ بن سليمان بهذا الإسناد سواء. والحمد لله رب العالمين.

يسأل القارئ: عبد الدايم عبد العزيز- قطور غربية عن صحة هذه الأحاديث:

١- «لا يدخل الجنة جسدٌ غذي بالحرام».

٢- إن الله تعالى يقول: أنا الله لا إله إلا أنا، مالك الملوك وملك الملوك، قلوب الملوك في يدي، وإن العباد إذا أطاعوني حولّت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة، وإن العباد إذا عصوني حوّلت قلوبهم عليهم بالسخطة والنقمة، فساموهم سوء العذاب، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك، ولكن اشتغلوا بالذكر والتضرع إليّ، أكفكم ملوككم.

والجواب بحول الملك الوهاب: أما الحديث الأول: «لا يدخل الجنة جسد غذي بالحرام» فضعيف جدًا. أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٣)، وأبو بكر المروزي في «مسند أبي بكر الصديق» (٥١)، وأبو يعلى (٨٤) عن أبي داود الطيالسي، والحاكم (١٢٧/٤)، والطبراني في «الأوسط» (٥٩٦١)، والبيهقي في «الشعب» (٥٧٥٩)، (٥٧٦٠)، والمروزي (٥١)، وابن حبان في «المجروحين» (١٥٥/٢)، وابنُ عدي في «الكامل» (١٩٣٦/٥)، والبزار (٤٣- البحر)، عن أبي عبيدة إسماعيل بن سنان البصري كلهم عن عبدالواحد بن زيد البصري، عن أسلم الكوفي عن مرة الطيب، عن زيد بن أرقم، عن أبي بكر الصديق مرفوعًا. وقد اختلف على عبد الواحد بن زيد في إسناده، فرواه أبو عبيدة الحداد أيضًا عن عبدالواحد بن زيد عن فرقد السبخي عن مرة الطيب، عن زيد بن أرقم، عن أبي بكر الصديق مرفوعًا مثله. فصار شيخ عبد الواحد: «فرقد» لا «أسلم» أخرجه أبو يعلى (٨٣)، وعنه ابنُ عدي في «الكامل» (١٩٣٦/٥) قال: حدثنا يحيى بن معين، ثنا أبو عبيدة الحداد بهذا. قال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن أبي بكر إلا بهذا الإسناد، تفرد به: عبد الواحد بن زيد».

قلت: وهو ضعيف جدًا، قال ابن معين: «ليس بشيء». وقال

البخاري: «تركوه». وقال النسائي: «ليس بثقة». وقال السعدي: «سيء المذهب، ليس من معادن الصدق». وكان عبد الواحد صاحب مواعظ، ولكنه غفل عن ضبط الحديث فاستحق الترك، وقد اضطرب في إسناده كما قدمت، وأسلم الكوفي مجهول وفرقد السبخي ضعيف، ولا يصح الحديث من هذا الوجه بحال. والله أعلم.

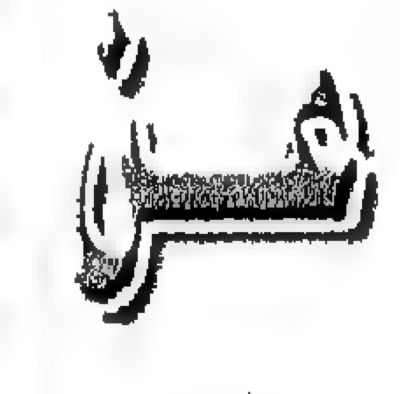
وأما الحديث الثاني فهو حديث باطل.

أخرجه ابنُ حبان في «المجروحين» (٧٦/٣) عن أحمد بن عبد المؤمن المروزي، والطبراني في «الأوسط» (٨٩٦٢)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٣٨٨/٢) قال: حدثنا مقدام بن داود، قال: ثنا عليُّ بن معبد الرقيُّ، ثنا وهبُ بنُ راشدٍ، ثنا مالكُ بنُ دينارٍ، عن خلاس بن عمرو، عن أبي الدرداء، عن رسول الله ﷺ قال... فذكره.

قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن مالك بن دينار إلا وهبُ بنُ راشد». وقال أبو نعيم: «غريب من حديث مالك مرفوعًا. تفرد به: عليُّ بنُ معبدٍ عن وهب بن راشد».

قُلْتُ: وسنده ضعيف جدًا، وآفته وهبُ بن راشد. قال ابن حبان: «شيخ يروي عن مالك بن دينار العجائب، لا تحلُّ الرواية عنه، ولا الاحتجاج به». وذكره الدارقطني في «العلل» (٢٠٦/٦) وقال: «يرويه عن وهب بن راشد، وهو ضعيف جدًا، متروك، ولا يصح هذا الحديث مرفوعًا، ورواه جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار أنه قرأ في بعض الكتب هذا الكلام، وهو أشبه بالصواب». انتهى.













ويسأل القارئ: مسعود محمد الفار- محافظة سوهاج- المنشأة عن درجة هذا الأحاديث:

إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، من يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشرّ يوقه. ثلاث من كنّ فيه، لم يسكن الدرجات العلا- ولا أقول لكم الجنة-: من تكهن أو استقسم، أو ردّه من سفر تطيُّر.

الجواب بحول الملك الوهاب:

هذا حديث ضعيف.

وقد ورد من حديث أبي هريرة، وأبي الدرداء، ومعاوية بن سفيان، رضي الله عنهم.

أولاً: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١٢٧/٩) من طريق سعد بن زنبور، حدثنا إسماعيل بن مجالد، عن عبد الملك بن عمير، عن رجاء بن حيوة، عن أبي هريرة مرفوعًا فذكره دون قوله: «ثلاث من كن فيه... إلخ». وإسماعيل بن مجالد مختلف فيه، قال أحمد والبخاري: «صدوق»، ووثقه ابن معين في رواية، وضعفه النسائي، والعقيلي، وقال الدارقطني: «لا شك أنه ضعيف»، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: «يخطئ». وقد خولف في إسناد هذا الحديث، خالفه رقبة بنُ مصقلة، فرواه عن عبد الملك بن عمير، عن رجاء بن حيوة، عن أبي الدرداء مرفوعًا فذكره بتمامه. أخرجه الدارقطني في «الأفراد» (ق ١/٢٦٦) من طريق يحيى بن داود الواسطي، ثنا إبراهيم بن يزيد بن مردانبة، عن رقبة بن مصقلة بهذا، وهذا لا يثبت عن رقبة بن مصقلة، وابن مردانبة؛ قال البخاري في «التاريخ الأوسط»: «لا يحتجون بحديثه». وقال أبو حاتم الرازي: «يكتب حديثه ولا يحتج به». وقال الأزدي: «عنده مناكير». ورواه سفيان الثوري، عن عبد الملك بن عمير، عن رجاء بن حيوة، عن أبي الدرداء مرفوعًا بتمامه، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٦٦٣)، والدارقطني في «العلل» (٢١٩/٦- ٢٢٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٧٤/٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج٦/ق ٢٣١)، والعسكري في «الأمثال»- كما في «المقاصد الحسنة» (ص١٠٧) للسخاوي، وابن شاهين في «الترغيب» (٢٤٢)، والخطيب في «تاريخه» (٢٠١/٥) من طريق محمد بن الحسن الهمداني، قال: ثنا سفيان الثوري بهذا، قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن سفيان، إلا محمد بن الحسن». وقال أبو نعيم: «غريب من حديث الثوري، عن عبد الملك، تفرد به: محمد بن الحسن».

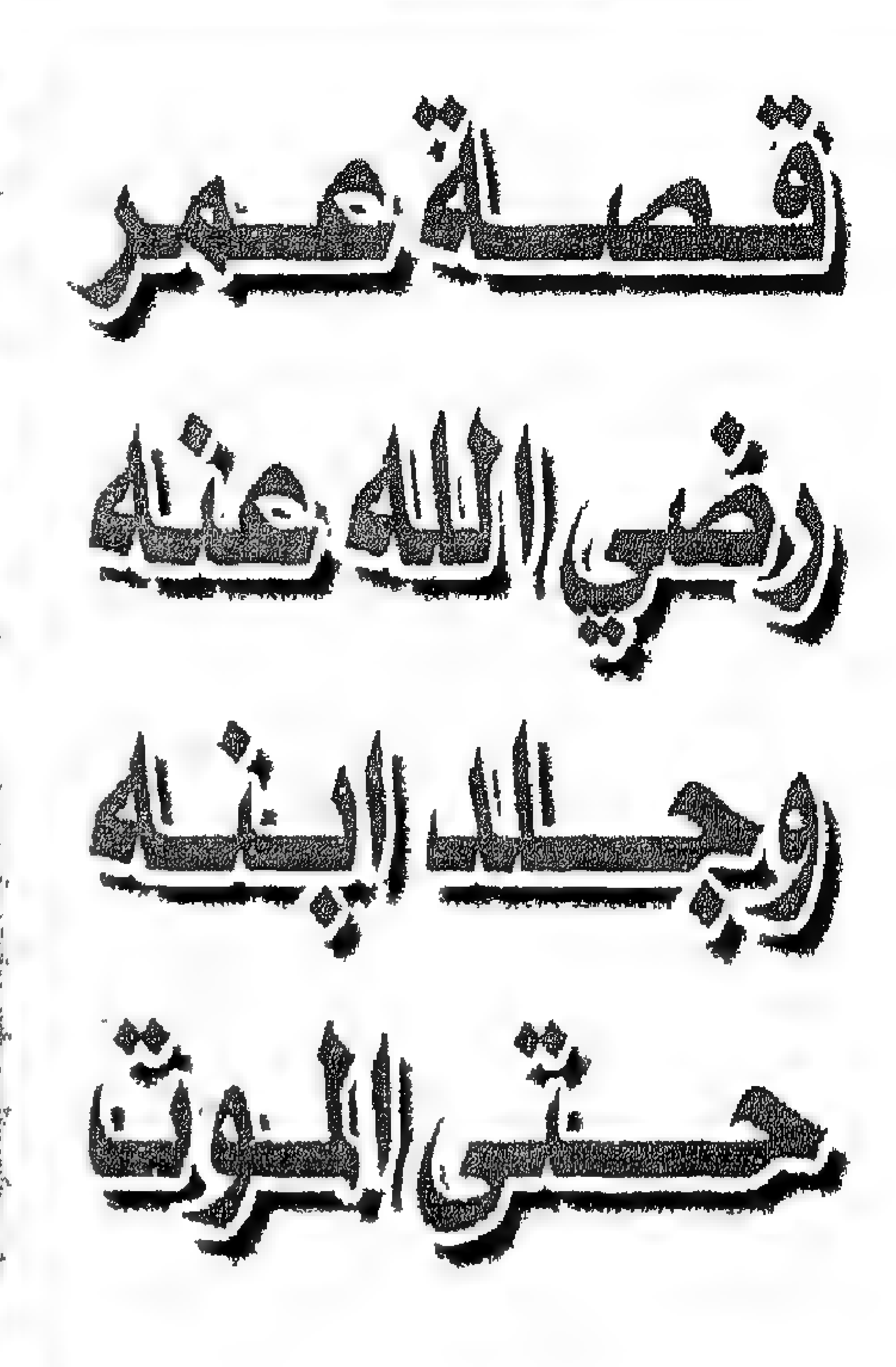
قلت: وإسناده ساقط، ومحمد بن الحسن هو ابنُ أبي يزيد الهمداني؛ اتهمه يحيى بن معين بالكذب، وقال النسائي: «متروك». وقال الذهبي في «تلخيص العلل المتناهية»

(٧٠٦): «واه»، والحديث مع ضعفه منقطع. وقد رواه ابن وهب، قال: ثنا سفيان الثوري بهذا الإسناد موقوفًا، أخرجه ابن عبد البر في «جامع العلم» (٩٠٣) وهذا هو المحفوظ في رواية الثوري، ويؤيده أن جماعة من الثقات رووا هذا الحديث عن عبد الملك بن عمير، عن رجاء بن حيوة، عن أبي الدرداء موقوفًا، فأخرجه هناد بن السري في «كتاب الزهد» (١٢٩٤) عن وكيع بن الجراح، وأبو خيثمة في «كتاب العلم» (١١٤)، وابن عبد البر في «الجامع» (٦١٧) عن جرير بن عبد الحميد، وابن حبانَ في «روضة العقلاء» (ص٢١٠) عن أبي عوانة وضاح اليشكري، والبيهقي في «المدخل» (٣٨٥) عن عبيد الله بن عمرو الرقي كلهم عن عبد الملك بن عمير بهذا الإسناد موقوفًا، وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٣/٩) عن شريك النخعي، عن عبد الملك بن عمير بسنده آخره: «ثلاث من كن فيه...» قال الدارقطني في «العلل» (٢١٩/٩): «الموقوف هو المحفوظ»، وهذا لا يعني أنه صحيح كما فهم مَن صحح إسناد الموقوف، فإنه لا يصح، لأن رواية رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء منقطعة كما صرح الذهبي بذلك، وهذا يُسمَّى عند علماء الحديث بالترجيح النظري، وهو لا يفيد الحديث قوة، ومرادهم: أنه إذا تعارض الرفع والوقف فلأن يكون موقوفًا أشبه، لا أنه تصحيحٌ للموقوف، وقد ألمح البخاري إلى الحديث المرفوع، فعلّق الفقرة الأولى منه: «إنما العلم بالتعلم» بصيغة الجزم في «كتاب العلم من صحيحه» (١٦٠/١) فقال: «وقال النبي ﷺ: من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما العلم بالتعلم». فعلّق الحافظ في «الفتح» (١٦١/١) قائلاً: «قوله: وإنما العلم بالتعلم، وهو حديث مرفوع، أورده ابن أبي عاصم والطبراني من حديث معاوية بلفظ: يا أيها الناس تعلموا، إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، إسناده حسن، إلا أن فيه مبهمًا، اعتضد بمجيئه من وجهٍ آخر. انتهى.

وحديث معاوية هذا أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١٩/ رقم ٩٢٩) قال: حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي، ثنا هشام بن عمار، ثنا صدقة بن خالد، ثنا عتبة بن أبي حكيم، عمن حدثه عن معاوية مرفوعًا: «يا أيها الناس...» وساقه كما ذكر الحافظ قريبًا. وإسناده ظاهر الضعف، وهشام بن عمار ساء حفظه لا سيما في آخر عمره، وعتبة بن أبي حكيم مختلف فيه، ومن حدثه مجهول، وذكر البدر العيني في «عمدة القاري» (٤٣/٢) أن الخطيب البغدادي رواه في «الفقيه والمتفقه» عن مكحول، عن معاوية، ويشبه أن يكون المبهم في إسناد الطبراني هو مكحول الشامي فإن عتبة بن أبي حكيم يروي عنه، ومكحول لم يسمع من معاوية كما صرح بذلك أبو حاتم الرازي على ما في «المراسيل» (ص٢١٢)، ونقل ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص٢١١) عن أبيه قال: سألت أبا مسهر: هل سمع مكحول من أحد من أصحاب النبي ﷺ؟ قال: ما صح عندنا إلا أنس بن مالك، فأي وجه لتحسين هذا الإسناد كما فعل الحافظ رحمه الله؟ وقد رأيت الوجوه الأخرى التي أشار إليها الحافظ وهي ضعيفة جدًا لا تصلح للتقوية، والبخاري يذكر في معلقاته الحديث الصحيح والحسن والضعيف كما يعرفه من له عناية بصحيحه، وقد صحت الفقرة الأولى منه: «إنما العلم بالتعلم» عن ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٦٢- ١٦٣)، وابن أبي شيبة (٧٣٠/٨)، ومن طريقه ابن عبد البر في «الجامع» (٦١٥) قالا: ثنا وكيعٌ، وهذا في «كتاب الزهد» (٥١٨) قال: حدثنا سفيان الثوري، ثنا أبو الزعراء عن عمه أبي الأحوص، عن ابن مسعود قال: إن الرجل لا يولد عالمًا، إنما العلم بالتعلم.

وأخرجه أبو خيثمة في «كتاب العلم» (١١٥) عن وكيع به، وهذا إسناد صحيح. وأخرجه ابن أبي شيبة، ومن طريقه ابن عبد البر (٦١٦) قال: ثنا أبو داود- وهو الحفري، والبيهقي في «المدخل» (٣٧٧) عن يعلى بن عبيد قالا: ثنا سفيان الثوري عن علي بن الأقمر، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود. والله تعالى أعلم.

الحلقة الخامسة والأربعون



نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والخطباء والقصاص.



بقلم
علي حشيش

أولاً: المتن

روي عن مجاهد قال: «تذاكر الناس في مجلس ابن عباس، فأخذوا في فضل أبي بكر، ثم أخذوا في فضل عمر بن الخطاب، فلما سمع عبد الله بن عباس بكى بكاءً شديدًا حتى أغمي عليه، ثم أفاق فقال: رحم الله رجلاً لم تأخذه في الله لومة لائم، رحم الله رجلاً قرأ القرآن وعمل بما فيه، وأقام حدود الله كما أمر، لم يَزْدُ عن القريب لقرابته، ولم يخف من البعيد لبعده، ثم قال: والله لقد رأيت عمر وقد أقام الحد على ولده فقتله فيه، ثم بكى وبكى الناس من حوله، وقلنا: يا ابن عم رسول الله، إن رأيت أن تحدثنا كيف أقام عمر على ولده الحد، فقال: والله لقد أذكرتموني شيئًا كنت له ناسيًا، فقلت: أقسمنا عليك بحق المصطفى لما حدثتنا. فقال: يا معاشر الناس، كنت ذات يوم في مسجد رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب جالس والناس حوله يعظهم ويحكم فيما بينهم، فإذا نحن بجارية قد أقبلت من باب المسجد، فجعلت تتخطى رقاب المهاجرين والأنصار حتى وقفت بإزاء عمر، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال عمر: وعليك السلام يا أمة الله، هل من حاجة؟ فقالت: نعم، أعظم الحوائج إليك. خذ ولدك هذا مني فأنت أحق به مني. ثم رفعت القناع فإذا على يدها طفل، فلما نظر إليه عمر قال: يا أمة الله أسفري عن وجهك، فأسفرت، فأطرق عمر وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يا هذه أنا لا أعرفك، فكيف يكون هذا ولدي؟ فبكت الجارية حتى بلت خمارها بالدموع، ثم قالت: يا أمير المؤمنين إن لم يكن ولدك من ظهرك فهو ولد ولدك، قال: أي أولادي؟ قالت: أبو شحمة. قال: أبحلال أم بحرام؟ قالت: من قبلي بحلال، ومن جهته بحرام، قال عمر: وكيف ذلك؟ قالت: يا أمير المؤمنين، اسمع مقالتي فوالله ما زدت عليك حرفًا ولا نقصت، فقال لها: اتقي الله ولا تقولي إلا الصدق. قالت: يا أمير المؤمنين، كنت في بعض الأيام مارة في بعض حوائجي إذ مررت بحائط لبني النجار، فإذا أنا بصائح يصيح من ورائي، فإذا أنا بولدك أبي شحمة يتمايل سكرًا، وكان قد شرب عند نسيكة اليهودي، فلما قرب مني تواعدني وتهددني وراودني عن نفسي وجرني إلى الحائط فسقطت وأغمي عليّ، فوالله ما أفقت إلا وقد نال مني ما ينال الرجل من امرأته فقمت وكتمت أمري عن عمي وجيراني فلما تكاملت أيامي وانقضت شهوري وضربني الطلق وأحسست بالولادة خرجت إلى موضع كذا وكذا فوضعت هذا الغلام، فهممت بقتله ثم ندمت على ذلك، فاحكم بحكم الله بيني وبينه. قال ابن عباس: فأمر عمر- رضي الله عنه- مناديًا ينادي. فأقبل الناس يهرعون إلى المسجد، ثم قام عمر فقال: يا معاشر المهاجرين والأنصار، لا تتفرقوا حتى آتيكم بالخبر، ثم خرج من المسجد وأنا معه، فنظر إليّ وقال: يا ابن عباس، أسرع معي فجعل يسرع حتى قرب من منزله، فقرع الباب فخرجت جارية كانت تخدمه، فلما نظرت إلى وجهه وقد غلبه الغضب قالت: ما الذي نزل بك؟ قال: يا هذه ولدي أبو شحمة هاهنا؟ قالت: إنه على الطعام فدخل وقال له: كل يا بني فيوشك أن يكون آخر زادك من الدنيا، قال: قال ابن عباس: فرأيت



الغلام وقد تغير لونه وارتعد، وسقطت اللقمة من يده، فقال له عمر: يا بني من أنا؟ قال: أنت أبي وأمير المؤمنين، قال: فلي عليك حق طاعة أم لا؟ قال: طاعتان مفترضتان أولهما: أنك والدي، والأخرى: أنك أمير المؤمنين، فقال عمر: بحق نبيك وبحق أبيك، فإني لا أسألك عن شيء إلا أخبرتني، قال: يا أبت لا أقول إلا الصدق، قال: هل كنت ضيفًا لنسيكة اليهودي فشربت عنده الخمر وسكرت.؟ قال: بابي قد كان ذلك وقد تبت، قال: يا بني، رأس مال المذنبين التوبة. قال: يا بني أنشدك الله هل دخلت ذلك اليوم حائطًا لبني النجار فرأيت امرأة فواقعتها؟ فسكت وهو يبكي ويلطم وجهه، فقال له عمر: لا بأس، اصدق فإن الله يحب الصادقين. فقال: يا أبي، كان ذلك والشيطان أغواني وأنا تائب نادم. فلما سمع عمر ذلك قبض على يده ولببه وجره إلى المسجد. فقال: يا أبه لا يعصمني على رؤوس الخلائق حد السيف واقطعني هاهنا إربًا إربًا. فقال: أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ثم جره حتى أخرجه بين يدي أصحاب رسول الله ﷺ في المسجد، وقال: صدقت المرأة، وأقر أبو شحمة بما قالت. وله مملوك يقال له أفلح، فقال: يا أفلح، إن لي إليك حاجة، إن أنت قضيتها فأنت حر لوجه الله. فقال: يا أمير المؤمنين، مرني بأمرك. قال: خذ ابني هذا فاضربه مائة سوط ولا تقصر في ضربه. فقال: لا أفعله، وبكى وقال: يا ليتني لم تلدني أمي حيث أكلف ضرب ولد سيدي، فقال عمر: إن طاعتي طاعة الرسول فافعل ما أمرتك به. فانزع ثيابه. فضج الناس بالبكاء والنحيب، وجعل الغلام يشير بإصبعه إلى أبيه ويقول: أبة ارحمني، فقال له عمر وهو يبكي: ربك يرحمك، وإنما هذا كي يرحمني ويرحمك، ثم قال: يا أفلح، اضرب. فضرب أول سوط فقال الغلام: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال: نعم الاسم سميت يا بني، فلما ضرب به ثانية قال: أوه يا أبه. فقال عمر: اصبر كما عصيت. فلما ضرب ثالثًا، قال: الأمان. قال عمر: ربك يعطيك الأمان فلما ضربه رابعًا قال: واغوثاه. فقال: الغوث عند الشدة. فلما ضربه خامسًا حمد الله. فقال عمر: كذا يجب أن تحمده. فلما ضربه عشرًا قال: يا أبت قتلتني، قال: يا بني ذنبك قتلك، فلما ضربه ثلاثين قال: أحرقت والله قلبي، قال: يا بني النار أشد حرًا. قال: فلما ضربه أربعين قال: يا أبت دعني أذهب على وجهي. قال: يا بني إذا أخذت حد الله من جنبك اذهب حيث شئت. فلما ضربه خمسين قال: نشدتك بالقرآن لما خليتني، قال: يا بني هلا وعظك القرآن وزجرك عن معصية الله عز وجل، يا غلام اضرب، فلما ضربه ستين، قال: يا أبي، أغثني، قال: يا بني إن أهل النار إذا استغاثوا لم يغاثوا، فلما ضربه سبعين قال: يا أبت اسقني شربة من ماء. قال: يا بني إن كان ربك يطهرك فيسقيك محمد ﷺ شربة لا تظمأ بعدها أبدًا، يا غلام اضرب، فلما ضربه ثمانين، قال: يا أبت السلام عليك. قال: وعليك السلام، إن رأيت محمدًا فاقرأه مني السلام وقل له: خلفت عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود، يا غلام اضربه، فلما ضربه تسعين انقطع كلامه وضعف، فوثب أصحاب رسول الله ﷺ من كل جانب، فقالوا: يا عمر انظر، كم بقي فأخره إلى وقت آخر، فقال: كما لا تؤخر المعصية لا تؤخر العقوبة، فأتى الصريخ إلى أمه فجاءت باكية صارخة وقالت: يا عمر أحج بكل سوط حجة ماشية، وأتصدق بكذا وكذا درهمًا، قال: إن الحج والصدقة لا تنوب عن الحد، يا غلام أتم الحد، فلما كان آخر سوط سقط الغلام ميتًا. فقال عمر: يا بني محص الله عنك الخطايا، وجعل رأسه في حجره وجعل يبكي ويقول: بأبي من قتله الحق، بأبي من مات عند انقضاء الحد، بأبي من لم يرحمه أبوه وأقاربه، فنظر الناس إليه فإذا هو قد فارق الدنيا. فلم ير يوم أعظم منه. وضج الناس بالبكاء والنحيب، فلما كان بعد أربعين يومًا أقبل عليه حذيفة بن اليمان صبيحة يوم الجمعة فقال: إني أخذت وردي من الليل فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وإذا الفتى معه حلتان خضراوان، فقال رسول الله ﷺ: «اقرئ عمر مني السلام وقل له: هكذا أمرك الله أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود. وقال الغلام: اقرئ أبي مني السلام وقل له: طهرك الله كما طهرتني والسلام».

ثانيًا: التخريج:

الحديث أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٦٩/٣) قال: حدثت عن شيرويه بن شهريار الحافظ، أنبأ أبو الحسن بن الحسن بن بكير الفقيه أنبأنا أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن القاسم النيسابوري أنبأنا أبو سعد عبد الكريم بن أبي عثمان الزاهد، حدثنا أبو القاسم بن بالويه الصوفي، حدثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى حدثنا أبو حذيفة عن شبل عن مجاهد قال: فذكره.

ثالثًا: التحقيق:

قال الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٧٤/٣): «هذا حديث موضوع، في إسناده مجاهيل، قال الدارقطني: حديث مجاهد عن ابن عباس في حد أبي شحمة ليس بصحيح». اهـ.

قلت: ولقد أورد الإمام «ابن الجوزي» قرائن تدل على بطلان هذه القصة وأنها موضوعة ومفتراة على عمر- رضي الله عنه- وابنه أبي شحمة حيث قال في «الموضوعات» (٢٧٤/٣): «هذا حديث موضوع، كيف



روي ومن أي طريق نقل؟ وضعه جهال القصاص ليكون سببًا في تبكية العوام والنساء، فقد أبدعوا فيه وأتوا بكل قبيح ونسبوا إلى عمر ما لا يليق به، ونسبوا إلى الصحابة ما لا يليق بهم، وكلماته الركيكة تدل على وضعه، وبعده عن أحكام الشرع يدل على سوء فهم واضعه وعدم فقهه، وقد تعجل واضعه قذف ابن عمر بشرب الخمر عند اليهودي ونسب عمر إلى أنه أحلفه بالله ليقر، وكيف يحلف عمر ولده بالله هل زنيت؟! هذا لا يليق بمثله، وما أقبح ما زينوا كلامه عند كل سوط، وذلك لا يخفى عند العوام أنه صنعه جاهل سوقي، وقد ذكر أنه طلب ماءً فلم يسقه وهذا قبيح للغاية، وحكوا أن الصحابة قالوا: أخر باقي الحد، وأن أم الغلام قالت: أحج عن كل سوط، وهذا كله يتحاشى الصحابة عن مثله». اهـ.

رابعًا: طريق أخرى للقصة:

أخرجها أيضًا ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٦٩/٣) حيث قال: «حُدِّثتُ عن أبي محمد هارون بن طاهر أنبأنا أبو الفضل صالح بن أحمد بن محمد بن صالح في كتابه أنبأنا أبو عبد الله الحسن بن علي قراءةً حدثنا محمد بن عبيد الأسدي حدثنا محمد بن الصلت حدثني أبو الأحوص عن سعيد بن مسروق قال: كانت امرأة تدخل على آل عمر أو منزل عمر ومعها صبي، فقال: من ذا الصبي معك؟ فقالت: هو ابنك. وقع عليَّ أبو شحمة فهو ابنه. قال: فأرسل إليه عمر فأقر. فقال عمر لعليّ رضي الله عنهما: اجلده. فضربه عمر خمسين، وضربه عليٌّ خمسين. قال: فأتي به. فقال لعمر: يا أبة قتلتني، فقال: إذا لقيت ربك عز وجل فأخبره أن أباك يقيم الحدود».

التحقيق

١- قال الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٦٩/٣): «هذا حديث موضوع وضعه القصاص وقد بدأوا فيه وأعادوا وقد شرحوا وأطالوا». وفي إسناده من هو مجهول ثم هو منقطع، وسعيد بن مسروق من أصحاب الأعمش، [فأين هو] وعمر. اهـ.

٢- قلت: ولقد أورد هذه القصة الإمام ابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة في الجزء الثاني (٢٢٠/٢) وعزاها «للجوزقاني» من نفس طريق سعيد بن مسروق، ثم قال: «وهو مما وضعه القصاص، وفي إسناده من هو مجهول، ثم إن سعيد بن مسروق من أصحاب الأعمش، فأين هو من عمر؟» اهـ.

٣- قلت: ولقد أشار الحافظ ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» (١٠١١٢/٢١٠/٧) إلى هذه القصة وبيّن أنها واهية حيث قال: «أبو شحمة بن عمر بن الخطاب جاء في خبر واهٍ أن أباه جلده في الزنى فمات، وذكره الجوزقاني». اهـ.

خامسًا: طريق ثالثة للقصة:

أخرجها أيضًا ابن الجوزي في الموضوعات (٢٧٣/٣) حيث قال: «حُدِّثت عن هارون بن طاهر أنبأنا صالح بن أحمد بن عمر في كتابه حدثنا أبو الحسين علي بن الحسين الرازي إملاءً حدثنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد المروزي حدثنا محمد بن أحمد بن صالح التيمي حدثني الفضل بن العباس حدثني عبد العزيز بن الحجاج الخولاني قال: أبو الحسين- هكذا قال- وهو عندي عبد القدوس بن الحجاج حدثني صفوان عن عمر أنه كان له ابنان يقال لأحدهما عبد الله والآخر عبيد الله، وكان يكنى أبا شحمة، وكان أبو شحمة أشبه الناس برسول الله ﷺ تلاوة للقرآن، وأنه مرض مرضًا فجعل أمهات المؤمنين يعدنه، فبينا هُن في عيادته قلن لعمر: لو نذرت على ولدك كما نذر علي بن أبي طالب على ولده الحسن والحسين فألبسهما العافية. فقال عمر: عليَّ نذر واجب لئن ألبس الله عز وجل ابني العافية أن أصوم ثلاثة أيام، وقالت والدته مثل ذلك، فلما أن قام من مرضه، أضافه نسيكة اليهودي، فأتوه بنبيذ التمر فشرب منه، فلما طابت نفسه خرج يريد منزله، فدخل حائطًا لبني النجار، فإذا هو بامرأة راقدة فكابدها وجامعها، فلما قام معها شتمته وخرقت ثيابه وانصرفت إلى منزلها». وذكر الحديث بطوله.

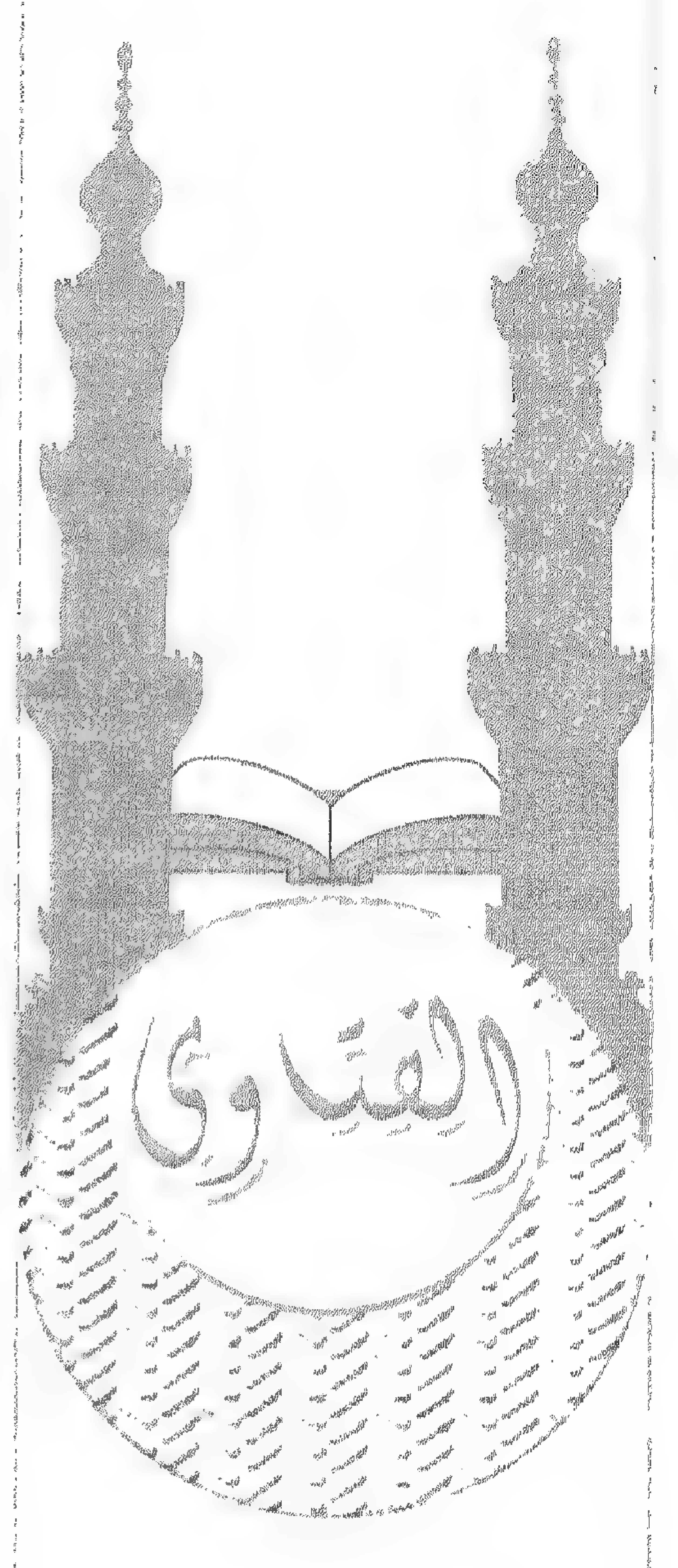
التحقيق

قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٧٥/٣): «صفوان الراوي عن عمر بينه وبين عمر رجال، والمتهم بهذا الحديث الرجال الذين في أول الإسناد، ولا طائل في الإطالة بجرح رجاله، فإنه لو كان رجاله من الثقات علم من الدسَّاسين لما فيه مما يتنزه عنه الصحابة، فكيف، وليس إسناده بشيء».

قلت: ولقد أورد الإمام الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص٢٠٣) كتاب الحدود (ح٦) هذه القصة وحكم عليها بالوضع بطرقها حيث قال: «حديث: إن عمر أقام الحد على ولد له يكنى أبا شحمة بعد موته في قصة طويلة: موضوع». اهـ.

قلت: بهذا يتبين للقارئ الكريم أن هذه القصة واهية حكم عليها بالوضع أئمة هذا الفن الإمام ابن الجوزي في الموضوعات، والإمام ابن حجر في الإصابة، والإمام ابن عراق في تنزيه الشريعة، والإمام الشوكاني في الفوائد، كما بيّنّا آنفًا.

والله من وراء القصد.





الشك في النجاسة

يسأل سائل فيقول: بعد التبول أشعر وكأن قطرات من البول تسقط في ثيابي، فماذا أفعل؟

الجواب: الدّين مبنيّ على اليقين، والشك لا يبنى عليه عمل، فما دمت تشك في خروج الماء بعد الاستنجاء فلا تلتفت إلى هذا الشك، ولا تُعد الوضوء، خشية أن تفتح على نفسك بابًا من الوسوسة تعجز عن التخلص منه بعد ذلك.

عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: شُكي إلى النبي ﷺ الرجلُ يخيّل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة، قال: «لا ينصرف حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا». [متفق عليه]. وقد بوّب عليه البخاري رحمه الله فقال: (باب لا يتوضأ من الشك حتى يستيقن). والله أعلم.

التداوي من النحافة

يسأل عبد الله عبد الرحمن حامد من أسوان:

هل يعتبر أخذ الأدوية لتقوية البدن وزيادة الجسم والتخلص من النحافة فيه تغيير لخلق الله؟

الجواب: عن أسامة بن شريك أن رسول الله ﷺ قال: «تداووْا، فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهَرم». [صحيح أبي داود ٣٢٦٤].

فالتداوي مشروع، والنبي ﷺ يقول: «المؤمن القوي خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف». [مسلم ٢٦٦٤]. وننصحك بأكل القثّاء بالرّطب، فإنه من الطب النبوي لعلاج النحافة. عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أرادت أمي أن تُسمّنني لدخولي على رسول الله ﷺ، فلم أقبل عليها بشيء مما تريد، حتى أطعمتني القثاء بالرطب، فسمنت عليه كأحسن السمن». [صحيح أبي داود: ٣٣٠٣].

ردّ المال المسروق

يسأل سائل: ما حكم المال المسروق، إن أراد السارق أن يرده وهو لا يعلم أين صاحبه؟

الجواب: السرقة كبيرة من الكبائر، فإن ستر الله على عبده وتاب عليه، وكان المسروق باقيًا عنده، ويستطيع أن يرده على صاحبه بأية طريقة ردّه، فإن لم يستطع تصدّق به ولصاحبه الأجر، وله أجر التوبة وأداء الأمانة.

موقف المسلم من التشاؤم

يسأل سائل: هل الشؤم في المرأة والدابة والدار حرام أم حلال وما قولكم في قول النبي ﷺ: «الشؤم في ثلاث: المرأة

والدابة والدار». وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: هذا الحديث متفق عليه بهذا اللفظ، وهو: «إن كان في شيء...» يعني الشؤم، قال الألباني في «الصحيحة» (٧٢٧/١): «والحديث يعطي بمفهومه أن لا شؤم في شيء، لأن معناه: لو كان الشؤم ثابتًا في شيء ما، لكان في هذه الثلاثة، لكنه ليس ثابتًا في شيء أصلاً، وعليه فما في بعض الروايات بلفظ «الشؤم في ثلاثة» أو «إنما الشؤم في ثلاثة» فهو اختصار وتصرف من بعض الرواة. والله أعلم». اهـ.

وقال ابن الأثير في «جامع الأصول» (٦٣٣/٧): «لما أبطل ﷺ مذهب العرب في التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء ونحو ذلك، قال: فإن كان لأحدكم دار يكره سكناها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس لا يعجبه ارتباطه، فليفارقها، بأن ينتقل عن الدار، ويبيع الفرس، ويطلق الزوجة».

وقال الحافظ في الفتح: «وذلك حسمًا للمادة، وسدًّا للذريعة، لئلا يوافق شيء من ذلك القدر فيعتقد من وقع له أن ذلك من العدوى أو الطيرة، فيقع في اعتقاد ما نهي عن اعتقاده، فأشير إلى اجتناب مثل ذلك، وهو نظير الأمر بالفرار من المجذوم مع صحة نفي العدوى». اهـ. «فتح الباري» (٦٢/٦).

اتقوا الله في تقسيم الميراث

تسأل: و. ع. م- من كفر الشيخ:

ما حكم الإخوة الذين يقولون لأخواتهم: ليس للفتيات ميراث، وإذا أعطوهنّ شيئًا كان أقل بكثير من حقهنّ؟

الجواب: إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، وبيّن ذلك في سورة النساء بيانًا شافيًا، واستفتح بقوله: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾، ثم ختم ذلك البيان بقوله سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، فالواجب على الإخوة أن يتقوا الله في أخواتهم، وأن يعطوهن نصيبهن كاملاً غير منقوص، وإلا فإن الله سيأخذ لهن حقهن في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، كما قال ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء». [مسلم ٢٥٨٢].

العجز عن الوفاء باليمين

يسأل: محمد عبد العاطي- من الأقصر فيقول:

لقد حلفت يمينًا بالله على شيء لا أمتلكه ولم أستطع الوفاء بالحلف لوجود ضرر في تنفيذه، فهل عليّ كفارة يمين أم ماذا أفعل؟

الجواب: إذا حلف الإنسان على فعل شيء ثم عجز عنه، أو رأى في فعله ضررًا، فعليه كفارة يمين؛ لقول النبي ﷺ: «مَن حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها، فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه». [مسلم ١٦٥٠].

النوم في المسجد

يسأل: سعيد إبراهيم- مركز الدلنجات محافظة البحيرة:

ما حكم النوم في المساجد؟

الجواب: بوّب البخاري في صحيحه في كتاب «الصلاة»: (باب نوم الرجال في المسجد)، وذكر فيه ما يدل على جوازه، قال الحافظ في الفتح (٥٣٥/١): وهو قول الجمهور.

الرضاع المانع من الزواج

يسأل عبد الحكيم عطا عبد العال بأسيوط فيقول:

رجل يريد أن يتزوج بامرأة علمًا بأن له أخًا أصغر منه وهي لها أخ أصغر منها قد رضعا معًا أكثر من مرة رضعات مشبعات؟ فما حكم هذا الزواج؟

الجواب: إذا كان الذي يريد الزواج لم يرضع من أم المرأة، والمرأة التي يريد زواجها لم ترضع من أمه، فلا بأس وهي له حلال، أما إذا كانت المرأة التي يريد زواجها رضعت من أمه مع أخيه فهي أخته لا تحل له، وأما إن كان أخوه رضع من أمها، فهي وأخواتها محرمات على أخيه، وتحلّ له هو.

والرضاع المحرّم خمس رضعات في سنّ الرضاع وهو ما كان دون الحولين.



أجاب عنها فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله

الذهب للنساء لا للرجال

سُئل: ما الحكمة في تحريم لبس الذهب على الرجال؟

أجاب: اعلم أيها السائل، وليعلم كل من يطلع على هذا الجواب أن العلة في الأحكام الشرعية لكل مؤمن، هي قول الله ورسوله ﷺ، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فأي واحد يسألنا عن إيجاب شيء أو تحريم شيء دل على حُكمه الكتاب والسنة، فإننا نقول: العلة في ذلك قول الله تعالى، أو قول رسول الله ﷺ، وهذه العلة كافية لكل مؤمن، ولهذا لما سُئلت عائشة رضي الله عنها: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ قالت: «كان يصيبنا ذلك فنُؤمر بقضاء الصوم ولا نُؤمر بقضاء الصلاة». لأن النص من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ علة موجبة لكل مؤمن، ولكن لا بأس أن يتطلب الإنسان العلة وأن يلتمس الحكمة في أحكام الله تعالى، لأن ذلك يزيده طمأنينة، ولأنه يتبين به سمو الشريعة الإسلامية حيث تقرن الأحكام بعللها، ولأنه يتمكن به من القياس إذا كانت علة هذا الحكم المنصوص عليه ثابتة في أمر آخر لم ينص عليه، فالعلم بالحكمة الشرعية له هذه الفوائد الثلاث.

ونقول- بعد ذلك- في الجواب على السؤال: إنه ثبت عن النبي ﷺ تحريم لباس الذهب على الذكور دون الإناث، ووجه ذلك أن الذهب من أغلى ما يتجمل به الإنسان ويتزين به فهو زينة وحلية، والرجل ليس مقصودًا لهذا الأمر، أي ليس إنسانًا يتكمل بغيره أو يكمل بغيره، بل الرجل كامل بنفسه لما فيه من الرجولة، ولأنه ليس بحاجة إلى أن يتزين لشخص آخر تتعلق به رغبته، بخلاف المرأة، فإن المرأة ناقصة تحتاج إلى تكميل بجمالها، ولأنها محتاجة إلى التجمل بأغلى أنواع الحلي، حتى يكون ذلك مدعاة للعشرة بينها وبين زوجها؛ فلهذا أُبيح للمرأة أن تتحلى بالذهب دون الرجل، قال الله تعالى في وصف المرأة: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]. وبهذا يتبين حكم الشرع في تحريم لباس الذهب على الرجال.

وبهذه المناسبة أوجه نصيحة إلى هؤلاء الذين ابتلوا من الرجال بالتحلي بالذهب، فإنهم بذلك قد عصوا الله ورسوله وألحقوا أنفسهم بمصاف الإناث، وصاروا يضعون في أيديهم جمرة من النار يتحلون بها، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ، فعليهم أن يتوبوا إلى الله سبحانه وتعالى، وإذا شاءوا أن يتحلوا بالفضة في الحدود الشرعية فلا حرج في ذلك، وكذلك بغير الذهب من المعادن لا حرج عليهم أن يلبسوا خواتم منه إذا لم يصل ذلك إلى حد السَّرَف.

التسمية عند دخول الحمام

سُئل: إذا كان الإنسان في الحمام فكيف يسمي؟

أجاب: إذا كان الإنسان في الحمام فيسمي بقلبه لا بلسانه، لأن وجوب التسمية في الوضوء والغسل ليس بالقوي؛ حيث قال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يصح عن النبي ﷺ في التسمية في الوضوء شيء». ولذلك ذهب الموفق صاحب المغني وغيره إلى أن التسمية في الوضوء مستحبة لا واجبة.

المسح على الخفين بعد انتهاء المدة

سُئل: مَن مسح على خفيه بعد انتهاء المدة وصلى بهما فما الحكم؟

أجاب: إذا انتهت مدة مسح الخفين ثم صلى الإنسان بعد انتهاء المدة، فإن كان أحدث بعد انتهاء المدة ومسح، وجب عليه إعادة الوضوء كاملاً بغسل رجليه، ووجب عليه إعادة الصلاة، وذلك لأنه لم يغسل رجليه فقد صلى بوضوء غير تام، وأما إذا انتهت مدة المسح وبقي الإنسان على طهارته، وصلى بعد انتهاء المدة، فصلاته صحيحة لأن انتهاء مدة المسح لا ينقض الوضوء، وإن كان بعض العلماء يقولون: إن انتهاء مدة المسح ينقض الوضوء، لكنه قولٌ لا دليل عليه، وعلى هذا فإذا تمت مدة المسح وبقي الإنسان على طهارته بعد انتهاء المدة، ولو يومًا كاملاً، فله أن يصلي ولو بعد انتهاء المدة، لأن وضوءه قد ثبت بدليل شرعي فلا يرتفع إلا بدليل شرعي، ولا دليل عن النبي ﷺ يدلُّ على أن انتهاء مدة المسح موجب للوضوء. والله أعلم.

أنواع الدماء الخارجة من المرأة

سُئل: إذا اشتبه الدم على المرأة فلم تميز هل هو دم حيض أم دم استحاضة أم غيره فماذا تعتبره؟

أجاب: الأصل في الدم الخارج من المرأة أنه دم حيض حتى يتبين أنه دم استحاضة وعلى هذا فتعتبره دم حيض ما لم يتبين أنه دم استحاضة.

زكاة مال الصبي والمجنون

سُئل: هل تجب الزكاة في مال الصبي والمجنون؟

أجاب: هذه المسألة محل خلاف بين العلماء: فمنهم من قال: إن الزكاة في مال الصغير والمجنون غير واجبة، نظرًا إلى تغليب التكليف فيها، ومعلوم أن الصغير والمجنون ليسا من أهل التكليف فلا تجب الزكاة في مالهما.

ومنهم من قال: بل الزكاة واجبة في مالهما، وهو الصحيح؛ لأن الزكاة من حقوق المال ولا ينظر فيها إلى المالك، لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣]، فجعل موضع الوجوب المال، ولقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن: «أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم». وعلى هذا فتجب الزكاة في مال الصبي والمجنون، ويتولى إخراجها وليهما.

والله أعلم

البأس الشديد

بقلم: شوقي عبد الصادق

الحمد لله الذي العز إزاره والكبرياء رداؤه، والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين، يقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

يقول ابن كثير في تفسيرها: قال البخاري رحمه الله: يلبسكم: يخلطكم، من الالتباس. يُلبسوا: يُخلطوا. شيعًا: فرقًا، وذكر حديثًا بسنده عن جابر بن عبد الله لما نزلت الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك». «أو من تحت أرجلكم» قال: «أعوذ بوجهك». «أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض».

قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون أو أيسر». وقال أيضًا: ويتعلق بهذه الآية أحاديث ذكر منها ما عند مسلم وأحمد أن النبي ﷺ دخل مسجد بني معاوية فصلى فيه ركعتين وناجى ربه طويلاً، ثم قال: «سألت ربي ثلاثًا، سألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها».

ونقل عن أبي بن كعب قوله: فهي أربع خلال منها اثنتان بعد وفاة النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة أُلبسوا شيعًا وذاق بعضهم بأس بعض، وبقيت اثنتان لا بد منهما واقعتان الرجم والخسف.

وقال نقلاً عن ابن مسعود أنه كان يصيح وهو في المسجد على المنبر ألا أيها الناس إنه قد نزل بكم أن الله يقول: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ لو جاءكم عذاب من السماء لم يُبق منكم أحدًا ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ لو خسف بكم الأرض أهلككم ولم يُبق منكم أحدًا ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ ألا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث.

وقول ثان عن ابن عباس ﴿عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ يعني أمراءكم ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يعني عبيدكم وسفلتكم، ويذيق بعضكم بأس بعض، يعني: يسلط بعضكم على بعض بالعذاب(١).

وبالنظر إلى قول ابن مسعود في الآية وهو يقول ألا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث؛ وقد حدث ما أخبر به النبي ﷺ من التفرق والتشيع، فقال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعين في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وإحدى وسبعين في النار، والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وثنتين وسبعين في النار». قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: هم الجماعة(٢)، وكل فرقة تزعم أنها الجماعة ولكن الجماعة الحق هي التي تلتزم

ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه عقيدة وعبادةً وخُلُقًا وسلوكًا، أو بمعنى آخر تتمسك بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وليس المراد بالجماعة والفرقة الناجية أن لا يقع منها أدنى اختلاف فإن ذلك كان في فضلاء الصحابة رضي الله عنهم.

والمخرج من هذا التفرق والتشيع هو العمل بقوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

صور من البأس بين المسلمين

ومن أسوأ الثلاث أيضًا البأس الذي ذاقه المسلمون من بعضهم البعض وكل هذا بسبب البعد عن الكتاب والسنة وعدم الاحتكام إليهما في كل صغير وجليل، فذاقت الرعية بأس الرعاة ومن تولى أمرها وذلك لما غاب عن واقعهم قول النبي ﷺ: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به». وقوله: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا»(٣).

وذاق ذوو الأرحام بأس بعضهم البعض لما عُطل فيهم قول الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

وعُطل فيهم قول نبيهم ﷺ: «إن الله عز وجل لما خلق الخلق قامت الرحم فأخذت بحَقْو الرحمن فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ اقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾(٤)». وفي الصحيحين أيضًا قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع» وقوله «من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه». فلما عُطلت هذه التوجيهات والتحذيرات الإلهية والنبوية من واقع كثير من المسلمين ذاق ذوو الأرحام بعضهم بأس بعض.

كذلك ذاق الأُجراءُ والفقراءُ بأس أصحاب الأموال والأغنياء لما عُطل بينهم قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]، وقول رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»(٥).

فتجد بعض أصحاب المصانع والشركات يبخس العامل أجره، أو يمنعه كلية؛ أمَا بلغ أصحاب الشركات أن من صالح الأعمال التي يُتوسل بها إلى الله إعطاء الأجير أجره كما في قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار وأغلق عليهم، فتوسل أحدهم إلى الله بأحسن أعماله وأخلصها فكان هذا العمل دفعَ الأجر للأجير بعد استثماره وتنميته ولو أعطاه الأصل لكفى، ففرج الله عنهم الصخرة، فهلا فعل أصحاب الأموال

ذلك ليفرج الله عنهم الاحتكار وعن الأمة الغلاء؟

ولون آخر من البأس بين الأغنياء والفقراء: وخلاصته أنه إذا طلب الفقير من الغني مالاً بفائدة وربا أعطاه وإن طلبه قرضًا منعه. أفَغَاب عنه قول النبي ﷺ: «إن السلف يجري مجرى نصف الصدقة»(٦).

فمن أسلف أخاه مبلغًا قرضًا حسنًا فكأنما تصدق عليه بنصفه ويعود إليه ماله كاملاً ويدخر له أجر التصدق فينتشر الفضل بين الناس ويزول البأس.

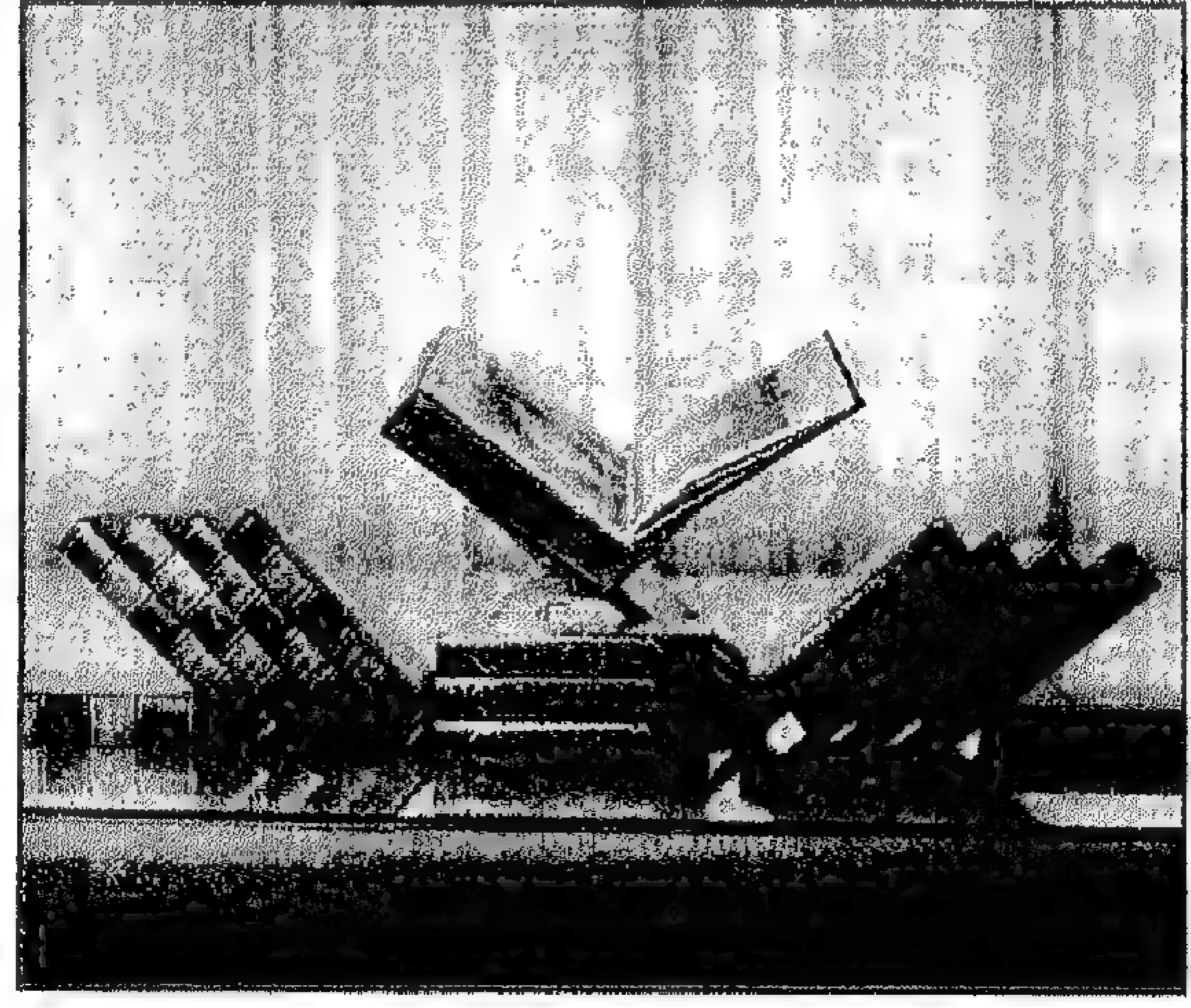
وذاق الجارُ بأس جاره حتى اختلفا على موضع اللبنة وتقاتلا لما عُطل بينهما قول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]، وعُطل قول النبي ﷺ الذي في الصحيحين عن أبي هريرة: «لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره». وقوله: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

وذاق الآباء بأس أبنائهم حتى قدم الولدُ صاحبه على أبيه وأمه، ووقر صديقه وأهان أباه وعقه، وكان الجزاء من الآباء أن أذاق بعض الأبناء البأس، بعدم العدل بينهم في العطية أو بحرمان البعض من الميراث، فعطل قول النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري من رواية النعمان بن بشير: «اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم»(٧)، فهل آن عباد الله أن نقيم ما عطلناه من أوامر الله ورسوله حتى يزول البأس من بيننا وينحصر فقط بين أعدائنا كما أخبر ربنا سبحانه؟

أما قول أبي بن كعب الذي نقله عنه ابن كثير أنه وقعت اثنتان وبقيت اثنتان لابد منهما واقعتان وهي الخسف والرجم فهو لم يقع للأمة كلها ولا يمنع وقوعه لجماعات من الأمة في أماكن متفرقة وأزمان متفاوته، ففي حديث مسلم السابق استجاب رب العزة لرسوله ﷺ فلم يهلك الأمة بالغرق العام ولا المجاعة العامة ولكن لا مانع من وقوع خسف وقذف ومسخ لناس من الأمة إذا ارتكبوا ما حرم الله ورسوله ﷺ، وتقع بهم عقوبة الله كما في الحديث الصحيح عن أنس مرفوعًا: «ليكونن في هذه الأمة خسف وقذف ومسخ، وذلك إذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف»(٨). وهذه المنكرات المذكورة في الحديث لا يخلو منها عُرس من الأعراس اليوم بل وغير الأعراس إلا من رحم الله تعالى وعصم، فتأتي العقوبة الربانية وقد يهلك فيها أيضا الصالحون ولكن يُبعث من مات في هذا الهلاك العام كلٌّ على نيته وعلى ما مات عليه من توحيد وطاعة أو شرك ومعصية.

نسأل الله النجاة وألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.



هوامش:

١- ابن كثير ١٣٦/٢ بتصرف.
٢- الصحيحة برقم ١٤٩٢ جيد.
٣- مسلم برقم ١٨٣٣ .
٤- مسند الإمام أحمد ٨٣٤٩، إسناده صحيح
٥- فتح الباري برقم ٢٢٧٠ .
٦، ٧، ٨- السلسلة الصحيحة برقم ١٥٥٣، ١٢٤٠، ٢٢٠٣ .





التربية والتزكية



بقلم: د. محمد يسري

إن عملية نقل المعلومات الذهنية من حيز الإدراك الجامد إلى حيز التطبيق العملي الحي بصورة متدرجة ومتأنية ومتكاملة ومتوازنة ومستمرة، وبطريقة عميقة جذرية مؤثرة، هو ما تعنيه عبارة التربية والتزكية.



فهي في حقيقتها تقريب المدعو من رتبة الكمال البشري بكل وسيلة مشروعة، وعليه فالتربية تصنع الأجيال، وتهيئ الأشبال ليرتقوا ذُرى الكمال، متسلحين بعقائد صحيحة، وأعمال صالحة، وأخلاق زاكية في الدنيا، كما تهيئهم لأنعم نعيم أهل الجنة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

أهمية التربية

تظهر أهمية التربية والحاجة إليها اعتمادًا وتطبيقًا وممارسة في الدعوة إلى الله في الجوانب الآتية:

١. التربية مهمة الأنبياء

لا شك أن الاشتغال بالتربية والتزكية هو طريق الأنبياء والعلماء والمصلحين قاطبة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:٢].

والتزكية هي التعبير القرآني لمصطلح التربية، وإن كان في معنى التربية من التعاهد والمتابعة للمتربي الصغير ما ليس في التزكية، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء:١٨]، فكان التزكية هي ثمرة التربية، ولذا قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى:١٤]، فالتربية من أول أعمال الأنبياء والمرسلين وأولاها، وقد قال تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]. وفي ممارسة النبي ﷺ للتربية مع أصحابه صفحات مشرقة، حق على كل داعية أن يطالعها مقتديًا ومهتديًا.

والتربية هي التي تحول العقيدة المستكنة في النفوس يقينًا إلى حقيقة سلوكية في الواقع، وترسخ معاني الألوهية في القلب، ليصبح يقينًا لا تزلزله محنة وابتلاء، كما لا تغيره نعمة ورخاء.

وأخيرًا فإنه: "لا يصلح آخر هذا الأمر إلا ما أصلح أوله"(١).

٢. التربية عصمة من الفتن

وتتعاظم أهمية التربية لأن الدعوة والدعاة يتعرضون فوق كل أرض للفتن أنواعًا منوعة، بالخير والشر، والرغبة والرهبة، ولا يعصم - بإذن الله - من فتنة السراء والضراء إلا تربية تعظم أمر الآخرة، وتصغر شأن الدنيا، وتؤثر ما يبقى على ما يفنى، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى:١٤-١٧].

٣. التربية وقاية من مفاسد الزمن

يتميز هذا الزمان بتقدم مذهل في وسائل التقنية ونقل المعلومات وسرعة التواصل والاتصالات، وحقق هذا مصالح معلومة، وواكبها مفاسد مشهورة عبر الفضائيات والشبكات العنكبوتية، فدارت عجلة الفساد سريعة عبر تلك المعابر، واقتحمت حصون الأمة وهددت من داخلها، كل ذلك يقتضي عناية خاصة بالتربية لتكون حصانة للأمة بعامة وللدعاة بخاصة.

ويتميز هذا الزمن بأزمة ثقة بين أهله، وبين طبقات الناس فيه، شيبًا وشبابًا، رجالاً ونساءً، والتربية على حسن الظن، وتقديم الخير، وقبول العذر، وسلامة الصدر حصانة للأمة بعامة، وللدعاة بخاصة.

ويتميز هذا الزمان بأزمة في القدوة، فلا تتحقق في الأب بالنسبة للولد، ولا في الأم بالنسبة للبنت، ولا في الأستاذ بالنسبة للطالب.

والتربية على العمل بالعلم، والتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، والاقتداء والتأسي بالمثل الكامل يحقق حصانة للأمة بعامة، وللدعاة بخاصة.

ويتميز هذا الزمان بأزمة في الكفاءة والإتقان، فيشتكى من جَلَد الفاجر وعجز الثقة، وضعف القوة والكفاءة، وقلة الصدق والأمانة.

والتربية على إحسان العمل، ورعاية حقوق الله تعالى وحقوق خلقه، أداءً للأمانة، وقيامًا بالواجب، يمثل حصانة للأمة بعامة، وللدعاة بخاصة.

٤. التربية سبيل التمكين

لم تُر الأمة الإسلامية بحالة من الضعف كهذه الحالة اليوم، حين استبدلت شريعتها، واستوردت مناهجها، وسقطت في التبعية لأعدائها، والقيام بواجب التربية والتزكية للنفوس عامة؛ هو في الحقيقة تهيئة للأمة للمطالبة بتحقيق وتطبيق شرع الله في الأرض، وما أحسن مقولة من قال: أقيموا دولة الإسلام في نفوسكم تقم على أرضكم.

وإن العناية بالتربية لطائفة مخصوصة من الأمة يهيئ لها فئاتٍ فذّةً قادرةً على البذل والعطاء، وتحقيق الآمال، والمرابطة على الثغور العلمية والعملية حماية للدين من كيد الكائدين، وعبث العابثين.

وصفوة القول أن الواجب التربوي هو طريق الخلاص، وأس التمكين.

الخلل التربوي هو الداء

كثيرًا ما يُرَدُّ الفشل في تحقيق الأهداف الدعوية إلى أسباب داخلية.

وعمدة هذه الأسباب عند التحقيق هو الخلل التربوي:

فتارة يكون الخلل بسبب ضعف التربية. وتارة بسبب عدم تدرج التربية. وتارة بسبب عدم تكامل التربية، فتتضخم قضايا وأمور على حساب أمور أخرى لا تقل أهمية. وتارة أخرى بسبب عدم التوازن بين التربية وأصول ومنطلقات أخرى في الدعوة إلى الله.

وهكذا فالتربية الجادة المتكاملة المنضبطة دعامة تحقيق الأهداف، سواء أكانت أهدافًا

علميةً أم عمليةً.

وقد عدَّ الإمام الشاطبي رحمه الله أمارات العالم فذكر منها: "أن يكون ممن ربَّاه الشيوخ في ذلك العلم، لأخذه عنهم وملازمته لهم، فهو الجدير أن يتصف بما اتصفوا به من ذلك، وهكذا كان شأن السلف الصالح، فأول ذلك ملازمة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ وأخذهم بأقواله وأفعاله، ... وصار مثل ذلك أصلاً لمن بعدهم، فالتزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبي ﷺ حتى بلغوا ذروة الكمال في الأمور الشرعية"(٢).

ضرورات التربية

١. اتساع نطاق العمل الدعوي:

فقوافل التوبة تؤوب إلى الله تترى، وهي خليط متنافر من سلوكيات تربوية لا يجمع بينها إلا أنها بعيدة عن المنهج السوي، وقد انتقلت إلى الصف الإسلامي بكل ما تحمله من رواسب المسالك الماضية، وإن تصعيدها في مدارج العمل الإسلامي من غير تصفية وتربية جادة ينعكس بآثار وبيلة على العمل بأسره، ما لم يتدارك ذلك بتربية حاسمة ومؤثرة، وإلا يكن هذا؛ فإن حديثي العهد بالجهل والمعاصي والثقافات المنحرفة سيقولون كما قيل من قبل: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]، أو "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط"(٣) فلابد من إزالة آثار الماضي وتأسيس بنيان الحاضر على أسس مستقيمة وقواعد متينة.

٢. تنشئة الصفوف الثانية والكفاءات البديلة وصناعة الأجيال:

فلا يصح ولا يصلح الاعتماد - بعد الاتساع - على شخصيات آسرة، وقيادات كبرى فحسب، ذلك أن العمل التربوي يعتمد على المخالطة والاحتكاك المباشر، ولا يتأتى هذا لتلك القيادات الأولى، فلابد من همزة الوصل بين الأجيال، وهم أفراد تلك الصفوف الثانية من طلبة العلم والدعاة النابهين الذين يعتمد عليهم في تحريك القلوب، ومتابعة التعليم، والتقويم المستمر، وعليه فلابد من جهد تربوي ضخم لتربية الدعاة والمصلحين.

٣. تنويع مجالات الدعوة وتخصصاتها ووسائلها:

ويحتاج هذا الأمر إلى من يسد الثغرات في سائر المجالات من الطاقات والكفاءات، ولا يتأتى هذا إلا بوجود الإنتاج التربوي المتين الغزير الذي يوصف بالرجولة والصدق، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]، فإن مجالات كثيرة قد أشرعت أبوابها تنتظر من يلجها ويشارك فيها، ويضرب للدعوة فيها بسهم، وهذا يستلزم اعتماد التربية وسيلة وغاية في وقت واحد، مع التنبه إلى خطورة الاستعجال في التجميع على حساب التربية المنضبطة.

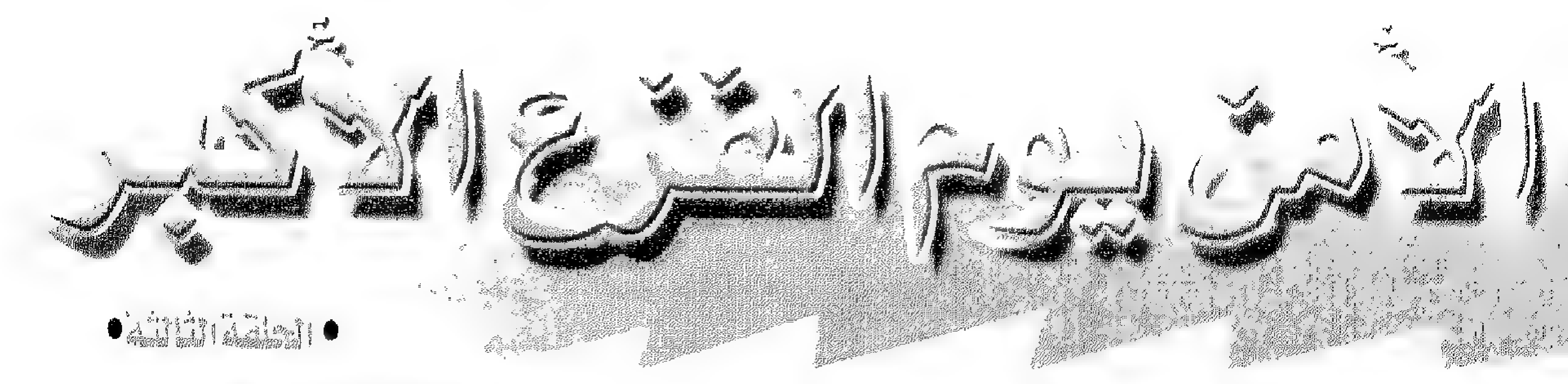
وإلى لقاء إن شاء الله تعالى

---

(١) من كلام مالك رحمه الله. انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٠/٢٣).

(٢) الموافقات للشاطبي (٦٦/١).

(٣) أخرجه أحمد (٢١٩٤٧)، والترمذي (٢١٨٠) وقال: حسن صحيح، وصححه ابن حبان (٦٧٠٢).



الأمن يوم الفزع الأكبر

• الحلقة الثالثة •

بقلم/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان، والصلاة والسلام على خير الأنام... وبعد: فنكمل ما ابتدأناه بحول من الله وقوته عن وسائل الأمن والأمان يوم تشيب رؤوس الولدان في الآخرة، وذكرنا بعض وسائل الأمن يوم الفزع الأكبر، وكان مما ذكرناه تحقيق التوحيد لله عز وجل، والإخلاص، والإحسان إلى الناس، وتقوى الله عز وجل.

خامساً: الخوف من الله تعالى

تعريف الخوف لغة: انفعال النفس، يحدث لتوقع ما يرد من المكروه، أو يفوت من المحبوب وهو الفزع. [المعجم الوسيط ٢٠٧]

والخوف الذي أقصده هنا هو الخوف من غضب الله تعالى وعقابه.

عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف الله عز وجل خوف الله به كل شيء، ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء».

[صحيح الترمذي ٢٨٠٥]

إذا خاف المسلم ربه تعالى صار في حمايته ورعايته فلا يستطيع أحد أن يؤذيه إلا بإذنه، فصار في أمن وسعادة في دنياه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

قال العلامة السعدي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي: في جميع أحوالهم حتى في الحالة التي لا يطلع عليهم فيها إلا الله، فلا يقدمون على معاصيه ولا يقصرون فيما أمر به، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم وإذا غفر الله ذنوبهم وقاهم شرها ووقاهم عذاب الجحيم ولهم أجر كبير أعده الله لهم في الجنة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: كان رجل يسرف على نفسه- أي في المعاصي- لما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدا، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له.

وعن أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: كيف تجدك، قال: أرجو الله يا رسول الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف.

[صحيح الترمذي ٧٨٥]

قال تعالى في سورة الإنسان: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾

[الإنسان: ١٠- ١١]

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: قال الله: وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي.

[صحيح الجامع ٤٣٣٢]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... إلى أن قال: ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه».

الرجل الأول هنا: خاف الله عز وجل بالغيب،

والثاني: تذكر وقوفه بين يدي الله جل جلاله في ساحة الحساب فبكى من خشية الله تعالى فكان الجزاء من جنس العمل، فصارا في ظل عرش الرحمن في وسط هذا الحر الشديد، وهذا فضل عظيم من المولى الكريم.

قال رسول الله ﷺ: «عينان لا تمسهما النار أبدًا: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله». [صحيح الجامع (٤١١٣)] وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ الجنة الأولى: جزاء على ترك المنهيات. والجنة الثانية: على فعل الطاعات. قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة».

[صحيح سنن الترمذي ١٩٩٣]

قال الإمام المنذري: معنى الحديث: أن من خاف ألزمه الخوف إلى السلوك إلى الآخرة والمبادرة بالأعمال الصالحة خوفًا من القواطع والعوائق. [الترغيب ١٣٦/٤]

سادساً: تعلم القرآن والعمل به

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

[فاطر: ٢٩، ٣٠]

الشاهد من الآية: أن الذين يقرءون القرآن الكريم قراءة تدبر وتمعن وتعلم واهتداء بما فيه وعمل بأوامره واجتناب نواهيه قد أحسنوا التجارة مع الله فباعوا قليلاً وربحوا عظيمًا، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[البقرة: ٣٨]

قال الحسن: الهدى: القرآن. قال العلامة السعدي: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إذا انتفى الخوف والحزن حصل ضدهما وهو الأمن التام، فمن اتبع هداه، حصل له الأمن والسعادة الدنيوية والأخروية.

وفي صحيح مسلم عن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: «كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرقٌ أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما».

الله أكبر: يأتي صاحب القرآن الذي كان يقرأ ويعمل به فوق رأسه مظلة تحميه من لهيب الشمس المحرقة وتتقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عنه.

سابعاً: الإنفاق في سبيل الله

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]

معنى سبيل الله: أي طاعته ومرضاته.

معنى المن: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها، الأذى: هو السب والتشكي وهو أعم من المن لأن المن جزء من الأذى لكنه نص عليه لكثرته. [القرطبي ١٢٣١/٢]

والمن والأذى مبطلان لثواب الصدقة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤]

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: لهم جزاؤهم العظيم اللائق بهم مكافأة على إخلاصهم في إنفاقهم.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا خوف: أي فيما يستقبلونه من أهوال القيامة. ولا هم يحزنون: على ما خلفوه من الأولاد ولا فاتهم من الحياة الدنيا لأنهم صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك. [تفسير ابن كثير ٣٠٨/١]

وإلى لقاء إن شاء الله

أخوة الدين

بقلم عادل عبد الرحمن

إن الحمد لله [illegible] ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

اعلم أخي المسلم أن الأخوة هي أقوى رابط بين المسلمين وهي ثمرة من ثمرات التوحيد والإيمان، فإن وجدت وُجد مجتمع مسلم متكامل، وإن نُزعت تفرق الناس أشتاتًا وظهر الخلاف فيما بينهم ومن ثم كانوا هدفًا سهلاً لأعدائهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال أيضًا: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه». وقال أيضًا: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

ومن هنا يأتي سؤال مهم: أيهما أقوى الأخوة في النسب أم الأخوة في الله؟ إن الأخوة في الدين أقوى من الأخوة في النسب فهذا دين الله، فالأخوة في النسب يوجد فيها الخير والشر، أما الأخوة في الدين فلا تكون إلا على الخير، فإن وجد شر فلا أخوة أصلاً.

يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر: الناس ينقسمون إلى أربعة أقسام:

١- إخوة أوفياء. ٢- أصدقاء. ٣- معارف. ٤- أعداء.

أما الصنف الأول فلا تبحث عنه فقد نسخ منذ زمن، وأما الصنف الثاني فندُر أن تجد صديقًا. بقى المعارف وأكثرهم أعداء، فإذا دخلت عليهم مدحوك، وإذا غبت عنهم بألسنة حداد سلقوك.

إذن فمن هو الأخ بعد؟

يقول ابن الجوزي رحمه الله في تعريف الأخوة وصفة الأخ المسلم:

إن أخاك الحق من كان معك
ومن ضر نفسه لينفعك
وإذا الزمان صدعك
شتت من شمله ليجمعك

فكيف نحقق هذه الأخوة؟

أولاً: بتقوية أواصرها، وذلك بما يلي:

١. حسن الظن:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال ﷺ: «إياكم والظن فإنه أكذب الحديث». [أخرجه البخاري].

ولما مرض الشافعي مرض الموت دخل عليه تلميذه الربيع بن سليمان وقال له: قوى الله

ضعفك يا إمام، فقال الشافعي رحمه الله: ماذا تقول؟ لو قوى الله ضعفي لقتلني.

قال الربيع: والله ما أقصد يا إمام.

قال الشافعي: والله لو شتمتني لعلمت أنك لا تقصد.

٢- ترك المراء والجدال:

قال تعالى: ﴿ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا ﴾ [الكهف: ٢٢].

قال ﷺ: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا».

وقال بعض أهل العلم: الجدال والمراء سبب في قسوة القلب، وتثبيت الضغينة فيه، ونزع الورع منه.

يقول ابن قتيبة رحمه الله: مر بي بشر بن عبد الله بن أبي بكرة فقال لي: ما يجلسك هاهنا؟ قلت: خصومة بيني وبين ابن عم لي، فقال بشر: إن لأبيك عليّ يدًا أريد أن أجزيك بها، وإني ما رأيت شيئًا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة العبادة ولا أشغل للقلب عن الله من الخصومة.

قال ابن قتيبة: لما سمعت هذا الكلام قمت لأنصرف، فقال لي خصمي: ما لك؟ قلت: لا أخاصمك أبدًا. فقال خصمي: أعلمت أن الحق لي؟ قلت: ولكني أكرم نفسي عن هذا.

ثانيًا: المحافظة على حقوق الأخوة

والحقوق تنقسم إلى قسمين:

١ - الحقوق العامة:

وهي تتلخص في حديث رسول الله ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه» (أي فاتبع جنازته). رواه مسلم.

٢ - الحقوق الخاصة:

أ. حق أخيك في مالك:

فاعلم أنه إن لم تؤثره على نفسك بمالك فليس أقل في الفضل من أن تعطيه فضل مالك، وإلا فالصدقة عليه، فإن غلبك شُحك فإن الله قد أوجب عليك الزكاة حق له في مالك.

ب - حق أخيك في نفسك:

قضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه، فأراد أن يكافئه على ذلك وجاءه بهدية، قال ابن شبرمة: ما هذا؟ قال: لما أسديته لي، قال ابن شبرمة: خذ مالك عافاك الله، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعدّه في الموتى.

ج - حق أخيك في لسانك:

أن تصمت عما يكره مع مراعاة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

-أن تتحدث بما يحب مع مراعاة عدم الكذب.

د. الدعاء له حيا وميتا:

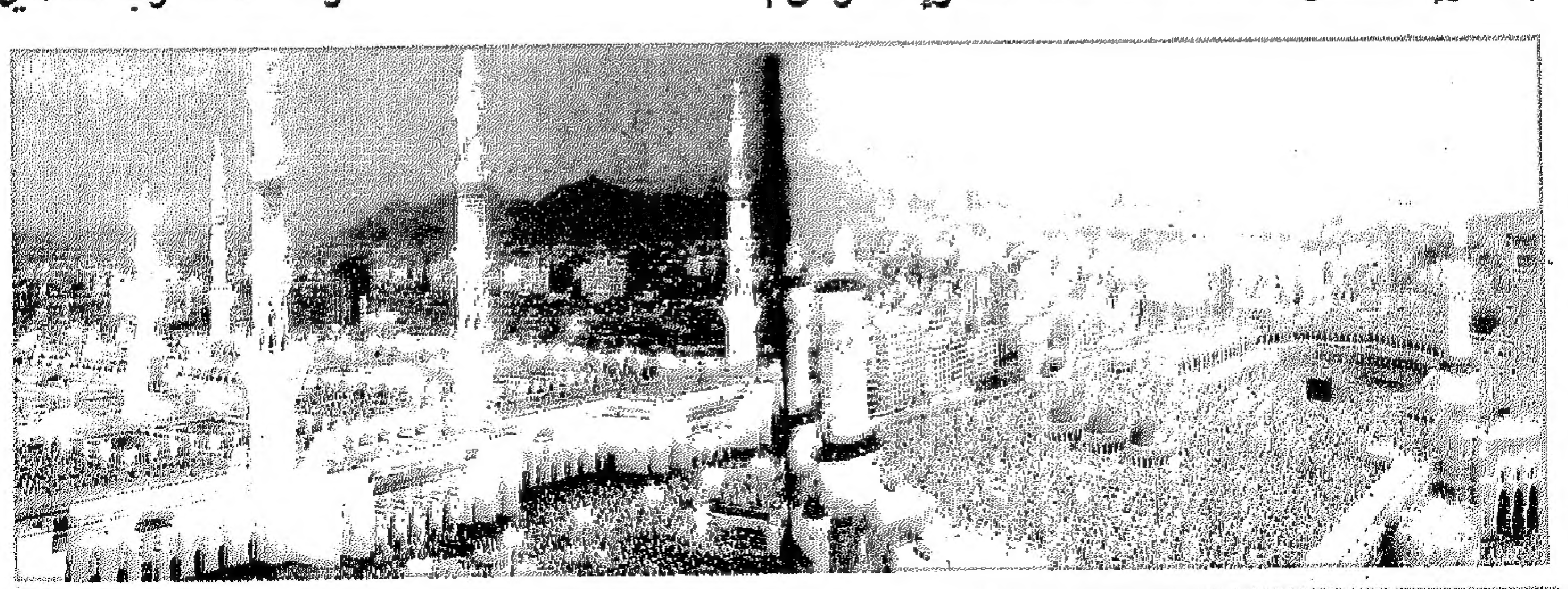
حق أخيك في قلبك ويتلخص في العفو والوفاء.

والعفو أن يتجاوز العبد عمن أساء في حقه من إخوانه بل يحسن إليه.

والوفاء: وهو الخلق الشريف العالي الرفيع الذي يبذل فيه المرء جهده لتنفيذ ما عاهد عليه على وجه التمام والكمال.

اللهم ألف بين قلوبنا أجمعين، واجمعنا في دار كرامتك إخوانًا على سُرر متقابلين.

والحمد لله رب العالمين



تعلن مجلة التوحيد

عن وجود مجلدات المجلة للبيع وقد تقرر أن يكون سعر المجلد لأي سنة داخل مصر للأفراد والهيئات والمؤسسات ودور النشر ١٨ جنيهًا مصريًا. وفروع أنصار السنة ١٥ جنيهًا مصريًا. ويتم البيع للأفراد خارج مصر بسعر ١٠ دولارات أمريكية. والهيئات والمؤسسات ودور النشر ٨ دولارات أمريكية.

مفاجأة كبرى

- لأول مرة نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٣٠ مجلدًا من مجلة التوحيد عن ٣٠ سنة كاملة.
- السعر: ٥٥٠ جنيه للكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر.
- ١٢٥ دولارًا لمن يطلبها خارج مصر بخلاف سعر الشحن.
- ٧٥ دولارًا للشحن.

تنبيه: علمًا بأن منفذ البيع الوحيد في المركز العام هو الدور السابع بمقر مجلة التوحيد